المستعاذ منه في ضوء القرآن الكريم

دراسة موضوعية

إعداد
د. محمد بن زيلعي هندي(*)

ملخص البحث

بدأ البحث بالحديث عن أهمية الموضوع، وأهدافه، ومنهجه، وخطته، ثم يأتي التمهيد ببيان الاستعاذة لغةً وشرعاً، وأنواع المستعاذ منه.

أمَّا المبحث الأول فقد تضمن المستعاذ منه، المتعلِّق بشرور النفس، وفيه ثلاثة مطالب، **الأول**: في الاستعاذة من شرور وسواس الجن والإنس عامة.

والثاني: في الاستعاذة من وسوسة الشيطان وجميع صور أذاه النفسي والبدني.

والثالث: في الاستعاذة من وسوسة الشيطان في حالات معينة.

أمَّا المبحث الثاني فقد تضمَّن المستعاذ منه المتعلِّق بشرور الخلق عامة، وفيه مطلبان، **الأول**: في الأمر بالاستعاذة من شرِّ الخلق عامة، **والثاني**: في الاستعاذة من شرور مخصوصة.

ثم تأتي الخاتمة في بيان بعض نتائج الدراسة، ومنها: شمول القرآن الكريم في تناوله للموضوعات وخطورة الشرور المستعاذ منها في القرآن، وضرورة مجاهدة النفس للبُعْدِ عنها درءاً لخطرها، وعملاً بكتاب الله تعالى.

ويلي هذا سَرْدُ مصادر البحث ومراجعه.

(*) أستاذ التفسير المساعد بكلية المعلمين بالطائف.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أولاً: الموضوع وأهميته:

يتحدث هذا البحث عن المستعاذ منه من خلال القرآن الكريم، بجَمْعِ الآيات التي نَصَّتْ على ما يُستعاذ منه خبراً، أو إنشاءً، ثم دراسة تلك الآيات، واستنباط المعاني التي تبني هذا الموضوع.

ويكتسب هذا الموضوع أهميته من أمور أهمها:

١- أن الاستعاذة من الشيطان هي أول ما يبدأ به العبد عند تلاوة كلام الله وتدبُّره، ومن هنا فإن التوسع في بابها لإدراك حكمة الله تعالى في البدء بها مطلب شرعي.

٢- أن الشرور المستعاذ منها تمثل العدوَّ الأكبر للعبد، ذلك العدو الذي بَيَّن الله تعالى أنه لا عاصم منه إلا باللجوء إلى الخالق المالك المدبِّر، وأول خطوة في مواجهته هي العلم به.

٣- أن بحث هذا الموضوع من خلال القرآن يُمَكِّن العبدَ من معرفة أهم ما فيه؛ وذلك لأن القرآن ينبه على أسس الموضوعات ومهماتها، لطبيعته المجملة الموجزة، ويترك تفصيلاتها للسنة المبيِّنة، على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم.

٤- أن هذا الموضوع يمثل لوناً من ألوان التفسير الذي لا زال بحاجة ماسة إلى الإثراء، والدراسة ، وهو التفسير الموضوعي، ولا زال قيد النقد والتعديل في أساليبه ومناهجه، وكل دارسة جادَّة لموضوع من موضوعات القرآن تسهم في ذلك الإثراء والتأسيس.

ثانياً: أهداف البحث

بالإضافة إلى العلم بما يستعاذ منه والحكمة من الاستعاذة منه في ضوء القرآن، يهدف البحث إلى ما يلي:

١- طَرْح فكرة تحتوي على شيء من الجدَّة في منهج التفسير الموضوعي يتمُّ من خلالها تلافي النقد الموجَّه لأسلوب التفسير الموضوعي بأنه يبتعد عن العلم الشرعي ويركز على التعبير الأدبي أكثر مما يجب.

مجمل هذه الفكرة تقوم على ركيزتين:

الأولى: الاستفادة من منهج التفسير الموضوعي في جَمْع الآيات في موضوع واحد، وبناء جوانب الموضوع الأساسية على ضوئها، والاستفادة من تنوع أساليبها في خدمة الموضوع.

الثانية: الاستفادة من منهج التفسير التحليلي في إثراء كل جانب عند الحديث عنه من خلال آياته.

وقد استفدت هذا المنهج من خلال دراستي الطويلة في رسالة الدكتوراه وما بعدها لتفسير شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله تعالى.

٢- إثراء جانب تفسير القرآن بالقرآن، بالمقارنة بين الآيات في الموضوع، ومحاولة تفسير بعضها ببعض.

٣- معرفة الأمور المستعاذ منها في القرآن الكريم كاملة.

٤- معرفة الحكمة من التنصيص على هذه الأمور في الاستعاذة.

٥- دراسة الأساليب والقوالب التي تضمَّنت تلك الأمور، ومعرفة أثرها في بناء المعلومات في هذا الموضوع، وفي ضمن ذلك إدراك أثر الأسلوب القرآني في بيان المعاني.

ثالثاً: منهج البحث

١- للوصول إلى هذه الأهداف سلكت المناهج التالية:

أ- المنهج الاستقرائي في جمع الآيات الواردة في الموضوع، وتفسيرها.

ب- المنهج الاستنباطي في بناء جوانب الموضوع، وتحرير تفسير الآيات الواردة، والبحث عن المعاني الثواني لتلك الآيات، وتوظيفها في إثراء جوانب الموضوع.

٢- وضعت خطة للبحث تجمع جوانب الموضوع.

٣- جمعت آيات الموضوع، وقسمت الموضوع على ضوئها بعد معرفة تفسيرها.

٤- حاولت توظيف التفسير التحليلي للتفسير الموضوعي قدر الاستطاعة.

٥- اقتصرت على ما يخصُّ الموضوع من المعاني الـمُفَسَّر بها والمستخرجة قدر المستطاع، وحاولت توظيف المعاني المستفادة من الأساليب في رسم هيكل الموضوع.

٦- تعمدت التنبيه على تنوع المعاني القرآنية في النص القرآني بطرقها المختلفة، ليظهر غزارة النصوص القرآنية بالمعاني.

٧- خففت من الجانب الوعظي الذي يُكثر من الوعظ على حساب المعلومات إيجازاً، ورغبة في التركيز على الفوائد المستنبطة من الأسلوب القرآني.

رابعاً: خطة البحث

قسمت البحث إلى:

- مقدمة تتحدث عن الموضوع وأهميته وأهدافه ومنهجه وخطته.
- تمهيد ببيان معنى الاستعاذة في اللغة والاصطلاح.
- المبحث الأول: المستعاذ منه المتعلِّق بشرور النفس.
- المبحث الثاني: المستعاذ منه المتعلق بشرور الخلق عامة .
- خاتمة: تتضمن أهم النتائج.

تمهيد: الاستعاذة لغة وشرعاً، وأنواع المستعاذ منه

الاستعاذة لغة وشرعاً:

الاستعاذة مصدر، بمعنى: طَلَب العَوْذ، فالسين والتاء فيها للطلب، والعَوْذ: اللجوء إلى ما يَعْصِمُ ويَقِي من أمر مُضِرّ.(١)

تطلق الاستعاذة في اللغة على معان:

أحدهما: أنها من الالتجاء والاستجارة والتحيز إلى الشيء على معنى الامتناع به من المكروه، يقال عُذْتُ بفلانٍ، واستعذت به، أي: لجأت إليه وهو عِياذي أي مَلْجَئي، وأَعَذْتُ غيري به وعَوَّذْتُه بمعنى.

والعَوْذُ: الالتجاء إلى شيء يدفع مكروهاً عن الملتجِئ، يقال: عاذ بفلان، وعاذ بالحرَم، وأعاذه إذا منعه من الضر الذي عَاذ من أجله.(٢)

الثاني: الالتصاق ولزوم المجاورة . يقال: أطيبُ اللحمِ عَوْذُه، وهو ما التصق منه بالعظم وجاوره. ذكره الرازي (ت: ٦٠٦هـ).(٣)

الثالث: الستر: تقول العرب للبيت الذي في أصل الشجرة التي قد استتر بها: «عُوَّذ» بضم العين وتشديد الواو وفتحها، فكأنه لـمَّا عاذ بالشجرة واستتر بأصلها وظِلِّها سَمَّوه

(١) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم (٢/ ٤٢٧-٤٢٨)، التحرير والتنوير لابن عاشور (١٤/ ٢٧٥-٢٧٦).

(٢) انظر: العين للخليل بن أحمد (٢/ ٢٢٩)، جمهرة اللغة لابن دريد، (٢/ ٦٩٨)، تهذيب اللغة للأزهري (٣/ ٩٣)، معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ١٨٣)، لسان العرب لابن منظور (٣/ ٤٩٨-٥٠١)، تاج العروس للزبيدي (٩/ ٤٣٨- ٤٤١)، وانظر: جامع البيان للطبري (١/ ١٠٩)، المحرر الوجيز لابن عطية (١/ ٥٨)، التفسير الكبيرللرازي (١/ ٦١)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ٨٩)، بدائع الفوائد لابن القيم (٢/ ٤٢٦-٤٢٧)، تفسيرالقرآن العظيم لابن كثير (١/ ١١٤).

(٣) التفسير الكبيرللرازي (١/ ٦١)، وانظر: جمهرة اللغة لابن دريد (٢/ ٦٩٨)، معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ١٨٣)، لسان العرب لابن منظور (٣/ ٤٩٨-٥٠١)، بدائع الفوائد لابن القيم (٢/ ٤٢٦-٤٢٧)، تفسيرالقرآن العظيم لابن كثير (١/ ١١٤)، تاج العروس للزبيدي (٩/ ٤٣٨- ٤٤١).

عُوَّذاً، فكذلك العائذ قد استتر من عَدُوِّه بمن استعاذ به منه واستجنَّ به منه.[1]

وهذه المعاني متقاربة، وكلها ترجع إلى معنى واحد هو الالتجاء إلى الشيء، ثم يحمل على كل شيء لصق بشيء أو لازمه.[2]

والمعنى الشرعي للاستعاذة يشملها.

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ): «والاستعاذة هي الالتجاء إلى الله تعالى والالتصاق بجنابه من شرِّ كل ذي شر.»[3].

وقال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) عن القولين الأخيرين: «والقولان حق والاستعاذة تنتظمهما معاً، فإن المستعيذ مستتر، بمعاذه، متمسك به، معتصم به، قد استمسك قلبه به ولزمه، كما يَلْزَمُ الولدُ أباه، إذا أشهر عليه عَدُّوه سيفاً وقصده به فهرب منه، فعرض له أبوه في طريق هَرَبِه، فإنه يُلْقي نفسه عليه، ويستمسك به أعظم استمساك، فكذلك العائذُ قد هَرَبَ من عدوِّه الذي يبغي هلاكَه إلى ربِّه ومالكه وفَرَّ إليه، وألقى نفسه بين يديه، واعتصم به، واستجار به، والتجأ إليه.»[4]

فأمرَ الله بدفع وسوسة الشيطان بالعوذ بالله، والعَوْذُ بالله هو الالتجاء إليه بالدعاء بالعصمة، أو استحضار ما حدده الله له من حدود الشريعة.

أنواع المستعاذ منه:

والمستعاذ منه في القرآن شامل لجميع الشرور التي تصيب الإنسان، فما مِنْ شر إلا وهو داخل فيما يستعاذ منه في القرآن.

---

(١) لسان العرب لابن منظور (٣/ ٤٩٨-٥٠١)، بدائع الفوائد لابن القيم (٢/ ٤٢٦-٤٢٧)، تاج العروس للزبيدي (٩/ ٤٣٨- ٤٤١).

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس ـ عوذ ـ (٤/ ١٨٣).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ١١٤).

(٤) بدائع الفوائد لابن القيم (٢/ ٤٢٦).

ويمكن تقسيم تلك الشرور إلى نوعين أساسيين:

أحدهما: المستعاذ منه المتعلق بالشرور الناشئة من داخل النفس الإنسانية.

ففي الكتاب الكريم والسنة النبوية ما يدل على أن من مصادر الشر الذي يصيب الإنسان نفسه التي بين جنبيه، فمن جانبها يأتيه كثير من الشرور، من الكفر والفسوق والعصيان، وعامة تلك الشرور مَبْدَؤُها الوسواس الناشئ من داخل نفسه ابتداءً، أو المارُّ من خلالها.

الثاني: المستعاذ من المتعلِّق بشرور الخلق عامة. وهو الشرُّ الذي يأتيه من خارجه، مما خلق الله تعالى.

ومن هنا سيكون الكلام على هذا التقسيم، فسنتحدث عن الشرور الناشئة من داخل النفس الإنسانية، ثم الشرور الناشئة من الآخرين.

المبحث الأول: المستعاذ منه المتعلِّق بشرور النفس

عند التأمل في أساليب القرآن في الحديث عن المستعاذ منه المتعلِّق بشرور النفس نجد أنه يتحدث عنه بأساليب مختلفة، وهذه الأساليب تتدرج بين الإجمال والتفصيل الذي هو من خصائص القرآن الكريم.

ففي سياق الإجمال ورد الأمرُ بالاستعاذة من شرور الوسواس عامة سواء كان صادراً من الإنس أم من الجن، كما في سورة الناس.

وفي سياق أكثر تحديداً ورد الأمر بالاستعاذة من شرور الوسواس الشيطاني خاصةً، كما في قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٧، ٩٨].

وفي سياقٍ أكثرَ تحديداً وَرَدَ الأمرُ بالاستعاذة من الشيطان الرجيم في أحوال معينة، كما في الأمر بالاستعاذة عند قراءة القرآن الكريم، وعند النزغ.

وعن التأمل في هذه الأحوال نجدها تجمع أبواب الخير والشر.

وفي تنوع هذه الأساليب حكم ظاهرة، لعل منها:

الإشارة إلى خطورة وسوسة الشيطان التي وردت في جميع السياقات بأساليب مختلفة.

والإشارة إلى أهمية الأحوال التي جاء النص عليها تحديداً في بعض الأساليب مع ورود الأمر بالاستعاذة الشاملة في كل حال.

ومما يتوافق مع طبيعة القرآن الكريم أن يكونَ تناوُلُ المستعاذ منه في ضوء أساليبه، ومن هنا سيكون الحديثُ عن المستعاذ منه المتعلِّقِ بشرور النفس في ثلاثة مطالب بحسب أساليبه في تناوله:

المطلب الأول: الاستعاذة من شرور وسواس الجن والإنس عامة:

وقد جاء ذلك في سورة ا لناس:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ * مَلِكِ ٱلنَّاسِ * إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ * مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ * ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ *مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾[الناس: ١-٦].

فهذه السورة مخصصة للاستعاذة من شرور الوسواس الخناس.

وأعظم تلك الشرور على الإطلاق الوسوسة؛ فإنها مبدأ الأفعال المذمومة، وحسم الشر بحسم أصله ومادته أجود من دفعه بعد وقوعه، فإذا أعيذ العبد من شرِّ الوسواس الذي يوسوس في الصدور فقد أعيذ من شر الكفر والفسوق والعصيان، ومن ثَمَّ أُعيذ من شرِّ عقوباته في الدنيا والآخرة.(١)

وهذا من أسرار وصف المستعاذ منه بالوسواس، فجعل الوسوسة صفتَه التي يستعاذ منه بسببها، وإن كان النصُّ شاملاً لجميع الشرور.

١ - الوسوسة:

مفهومها وحقيقتها في السياق القرآني:

والوسوسة في اللغة: حديث النَّفس، وقيل: الكلام الخفي في اختلاط، من الوسواس الذي أصله الصوت الخفي، أو الإلقاء الخفي في النفس: إما بصوت خفي لا يسمعه إلا من ألقي إليه، وإمَّا بغير صوتٍ كما يوسوس الشيطان للعبد.

ولما كانت الوسوسة كلاماً يكرره الموسوس ويؤكده عند مَنْ يلقيه إليه كَرَّروا لفظها بإزاء تكرير معناها فقالوا: وسوس وسوسة، فراعَوا تكرير اللفظ؛ لـيُفْهَمَ منه تكرير مسماه.(٢)

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٧/ ٥٠٧-٥٠٨، ٥٣٦)، بدائع الفوائد لابن القيم (٢/ ٤٧٣-٤٧٤).

(٢) انظر: العين (٧/ ٣٣٥)، تهذيب اللغة (١٣/ ٩٢)، بدائع الفوائد لابن القيم (٢/ ٤٧٤)، لسان العرب (٦/ ٢٥٤)، تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي (١٣/ ٩٢).

وحقيقة الوسوسة في السياق القرآني: دعوة الشيطان لطاعته بخطرات رديئة يلقيها في النفس، أو كلام خفي يصل مفهومه للقلب من غير سماع صوت، ويدخل فيها باعتبار آثارها شهوات النفس التي تثور فيها نتيجة لتلك الخواطر، أو الأهواء التي نهي العبد عن اتباعها، وأمر بمعصيتها.(١)

بين الوسوسة والأحوال القلبية المشابهة:

تدل نصوص القرآن على أن الوسواس أخفُّ من الطائف، فإن الوسوسة تبدأ نَزْغاً وهو أدنى حركة وتتكرر وتتوالى حتى تتحول إلى إصابة بالمسِّ، وهو الطائف، وهو ما يطوف القلب به ويدور عليه، فهو أبلغ قليلاً من الوسوسة. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[الأعراف: ٢٠١]. فإن قوله في الخبر ﴿تَذَكَّرُواْ﴾ يدل على تمكُّن مَسِّ الطائف حتى حصل نسيان، فتذكَّروا ما نسوه، والمعنى: تذكَّروا ما أمر به تعالى، وما نهى عنه، فحصل إبصارهم للحق والسداد فاتبعوه، وطردوا عنه مسَّ الشيطانِ الطائف.(٢)

والوسواس بداية في القلب قد تنتهي بالران، فإن الوسواس إذا تمكن فصار طائفاً في القلب أنساه ما كان معه من الإيمان حتى يعمى عن الحق، فيقع في الباطل، فإنه يغشى القلب بغشاوة تمنعه عن إبصار الحق، فيقع فيه، ويستمر به الحال، ولا يتوب حتى يعلو قلبه الران. قال ﷺ (إِنَّ الْمُؤْمِنَ إذا أَذْنَبَ كانت نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ في قَلْبِهِ فإِنْ تَابَ ونَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَ قَلْبُهُ، فإِنْ زَادَ زَادَتْ فذَلِكَ الرَّانُ الذي ذَكَرَهُ الله في كِتابِهِ»: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[المطففين: ١٤]).(٣)

---

(١) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٥/ ٥٤٠)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٠/ ٢٦٣)، روح المعاني للآلوسي (٣٠/ ٢٨٦).

(٢) انظر: تفسير البحر المحيط (٤/ ٤٤٥١).

(٣) أخرجه ـ من حديث أبي هريرة ﷺ ـ النسائي في السنن الكبرى (٦/ ٥٠٩)، برقم (١١٦٥٨)، والترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب: ومن سورة المطففين (٥/ ٤٣٤)، برقم (٣٣٣٤)، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب ذكر الذنوب (٢/ ١٤١٨) برقم (٤٢٤٤)، والحاكم في مستدركه، في كتاب =

فالوسواس بداية الذنب، والرَّيْنُ نهاية الذنب وجزاؤه، والغين ألطف من الرين، كما في الحديث الصحيح عنه ﷺ قال: (**إنه لَيُغَانُ على قَلْبِي وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ الله في الْيَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ**).[1][2] فإن (الغين حجاب رقيق أرق من الغيم، فأخبر أنه يستغفر الله استغفاراً يزيل الغين عن القلب فلا يصير نكتة سوداء كما أن النكتة السوداء إذا أزيلت لاتصير رَيْناً)[3].

فكأن المراتب الغين، ثم ا لنكتة السوداء، ثم الرين.

المعنى الجامع للوسوسة:

إن المعنى الجامع للوسوسة أنها: ما يلقيه الشيطان في نفس الإنسان من شر، في مقابل ما يلقيه الملك من خير. و قد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: (**ما مِنْكُمْ من أَحَدٍ إلا وقد وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ من الْجِنِّ، قالوا: وإِيَّاكَ يا رَسُولَ اللهِ قال: وإِيَّايَ إلا أَنَّ اللهَ أَعَانَنِي عليه، فأَسْلَمَ فلا يَأْمُرُنِي إلا بِخَيْرٍ**).[4]

وقال ابن مسعود (ت: ٣٣هـ) ﷺ: (**إن للملك لَمَّةً، وإن للشيطان لَمَّةً، فلَمَّةُ المَلَكِ إيعاد بالخير وتصديق بالحق، ولَمَّةُ الشيطان إيعاد بالشر و تكذيب بالحق**)[5].[6]

= الإيمان (١/ ٤٥)، وفي كتاب التفسير، تفسير سورة المطففين (٢/ ٥٦٢)، وقال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وحَسَّنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ١٢٥) برقم (١٦٢٠).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الذكر و الدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه (٤/ ٢٠٧٥)، برقم (٢٧٠٢)، وأخرجه غيره من حديث الأغر المزني ﷺ.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٧/ ٥٢٢-٥٢٣).

(٣) مجموع الفتاوى (١٥/ ٢٨٣).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب: تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قريناً (٤/ ٢١٦٧) برقم (٢٨١٤)، وأخرجه غيره من حديث ابن مسعود ﷺ.

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (٩/ ١٠١)، برقم (٨٥٣٢٩) من خطبة لابن مسعود، وصححه أبو زرعة كما في علل الحديث (٢/ ٢٤٤)، وروي مرفوعاً إلى النبي ﷺ، في موارد الظمآن لابن حبان (١/ ٤٠)، ومسند البزار (٥/ ٣٩٤)، برقم (٢٠٢٧)، من طريق أبي الأحوص، قال البزار: «وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن عبد الله عن النبيِّ إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد وقد رواه غير أبي الأحوص موقوفاً» ، وضَعَّفه الألباني في ضعيف الجامع برقم (١٩٦٣).

(٦) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٧/ ٥٢٣-٥٢٤).

ومن هنا نجد الوسوسة تدخل تحت الإلهام بالمعنى العام، فإن الإلهام في اللغة من لهم الشيء إذا ابتلعه، كأنَّه شيءٌ أُلقِيَ في الرُّوع فالتَهَمَه. قال تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٨].[١]

ومن هنا عرَّفه العلماء بأنه: ما يلقى في الروع، أو إيقاع الشيء في النفس، أو الإعلام الخفي بهاجس يلقى في النفس إلقاءً.[٢]

قال محمد بن كعب القرظي(ت: ١٢٠هـ): «إذا أراد الله بعبده خيراً ألهمه الخير فعمل به، وإذا أراد به الشرّ ألهمه الشرّ فعمل به»[٣].

«فهو سبحانه يلهم الفجور والتقوى للنفس، والفجور يكون بواسطة الشيطان وهو إلهام وسواس والتقوى بواسطة ملك وهو إلهام وحي، هذا أمر بالفجور وهذا أمر بالتقوى، والأمر لابُدَّ أن يقترن به خبر.

وقد صار في العُرْف لفظ الإلهام إذا أُطْلِق لا يُراد به الوسوسة، وهذه الآية مما تدل على أنه يفرق بين إلهام الوحي والوسوسة، فالمأمور به إن كان تقوى الله فهو من إلهام الوحي، و إن كان من الفجور فهو من وسوسة الشيطان.

فيكون الفرق بين الإلهام المحمود و بين الوسوسة المذمومة هو الكتاب والسنة، فإن كان مما ألقي في النفس مما دلَّ الكتاب و السنة على أنه تقوى لله، فهو من الإلهام المحمود، وإن كان مما دلَّ على أنه فجور، فهو من الوسواس المذموم. و هذا الفرق مُطَّرِد لا ينتقض»[٤].

وسوسة الجِنَّة والناس:

هذه الوسوسة بجميع معانيها داخلة في المستعاذ منه في سورة الناس، بل بَيَّنَتْ

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ١٧٦)،

(٢) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (٩/ ١٤٠)، لسان العرب لابن منظور (١٢/ ٥٥٤).

(٣) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٤٤٩).

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٧/ ٥٢٩-٥٣٠).

السورة مصادر هذه الوسوسة وأنواعها، فالراجح أن قوله: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ بيان للذي يوسوس.

وعليه فإن الوسوسة نوعان: نوع من الجن، ونوع من نفوس الإنس، فالشر من الجهتين جميعاً، فللإنس شياطين كما أنَّ للجن شياطين، كما أنَّ نفس الإنسان قد توسوس له، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾[قَ: ١٦].(١)

وهذه الحقيقة قد دَلَّتْ عليها الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم:

١- فمن القرآن قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢] فسماهم شياطين، وهم إنس وجن. وسمى وسوسة بعضهم لبعض وحياً.(٢)

٢- ومن السُّنَّة استدل العلماء بحديث أبي ذر ﷺ أنَّ رسولَ الله ﷺ، قال له: **(يا أبا ذر، تعوَّذْ بالله من شر شياطين الإنس والجن)** قال: قلت: يا رسول الله، وللإنس شياطين؟ قال: نعم. الحديث...)(٣)(٤)

وهذا الحديث وإن ضُعِّف، إلا أن تسمية بعض الإنس شياطينَ ثابتٌ عن النبي ﷺ، من ذلك حديث عائِشَةَ قالت : قال رسول اللهِ ﷺ: **(إني لَأَنْظُرُ إلى شَيَاطِينِ الإنْسِ والجِنِّ قد فَرُّوا من عُمَرَ)**.(٥)

---

(١) انظر: المصدر نفسه (١٧/ ٥١٦-٥١٧).

(٢) انظر: الرد على المنطقيين لابن تيمية (٥٠٦-٥٠٧)،بدائع الفوائد لابن القيم (٢/ ٤٨٩-٤٩٠).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٣٥/ ٤٣١) برقم (٢١٥٤٦)، والبزار في مسنده (٩/ ٤٢٦)، برقم (٤٠٣٤)، والطيالسي في مسنده (١/ ٦٥)، برقم (٤٧٨)، وضعَّفه محققو مسند الإمام أحمد.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/ ٥٤٠- ٥٤١).

(٥) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب: مناقب عمر بن الخطاب ﷺ (٥/ ٦٢١)، برقم (٣٦٩١)، وقال: « هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ من هذا الْوَجْهِ »، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

٣- وعلى هذا دلَّت عامة أقوال السلف أنهم كانوا يقولون: من الجن شياطين، ومن الإنس شياطين.(١)

والفرق بين وسوسة الجني ووسوسة الإنسي أن الإنسي يوسوس بواسطة الأُذن، والجني لا يحتاج إلى ذلك؛ لأنه يجري من ابن آدم مجرى الدم، وإن كان قد يتمثل له ويوسوس إليه في أذنه كالإنسي، كما ثبت في الصحيح عن النبيﷺ أنه قال: (**المَلائِكَةُ تَتَحَدَّثُ فِي الْعَنَانِ وَالْعَنَانُ الْغَمَامُ بِالْأَمْرِ يَكُونُ فِي الأرض فَتَسْمَعُ الشَّيَاطِينُ الْكَلِمَةَ فَتَقُرُّهَا فِي أُذُنِ الْكَاهِنِ كما تُقَرُّ الْقَارُورَةُ فَيَزِيدُونَ مَعَهَا مِئَةَ كَذْبَةٍ**)(٢)، فالظاهر أن هذه وسوسة بواسطة الأذن.(٣)

وبهذا يُعْلَمُ أن الوسوسة نوعان، وسوسة جنيّ، ووسوسة إنسيّ:

وسوسة الجِنَّة:

الوسواس الجني هو الأصل، ووسواس الإنس ما هو إلا تابع وولي له(٤)؛ ولهذا قدَّمه في قوله: ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ في هذه السورة.(٥)

ومن المعلوم في الكتاب والسنة أن الوسواس الجني أخطر من الإنسي، ولذلك تكاثرت النصوص في التحذير منه، وذكرت تفصيلات تتعلق بوسوسته، فبينت أن الوسواس من جنس الحديث والكلام، ولهذا قال المفسرون في قوله: ﴿مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥ﴾[قٓ: ١٦] قالوا: ما تحدِّث به نفسه.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٧/ ٥٠٩-٥١٣)، الرد على المنطقيين لابن تيمية (٥٠٦)، جامع البيان للطبري (٣٠/ ٧٥٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: بدء الخلق، باب: صفة خلق إبليس وجنوده (٣/ ١١٩٧)، برقم (٣١١٤)، وغيره من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم (٢/ ٤٨٩-٤٩٠).

(٤) انظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٦٣٥).

(٥) انظر: المصدر نفسه (٣٠/ ٦٣٥).

وفي القرآن الكريم حديث أوسع عن تلك الوسوسة؛ لخطورتها، وهي تتنوَّع تنوع الحديث والكلام، **فقد تكون خبراً** عن الماضي، كقوله تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴾[الأعراف: ٢٠]أو عن حاضر، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[آل عمران: ١٧٥] أو عن مستقبل، كقوله تعالى: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[البقرة: ٢٦٨]، وقوله تعالى: ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾[النساء: ١٢٠]، وقوله: ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾[الإسراء: ٦٤]، وقوله: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾[طه: ١٢٠].

وقد تكون إحداثاً للشر، كما سبق، وقد تكون إنساءً للخير، ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[الأنعام: ٦٨]، وقوله: ﴿ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾[يوسف: ٤٢]، وقوله: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴾[الكهف: ٦٣].

ومما يدخل تحت الأخبار من الوساوس: الاعتقادات الباطلة التي تحدث في النفس.

فإذا كان الوسواس هو ما يُمْليه الشيطان في نفس الإنسان من شر في مقابل ما يُمْليه الملك من خير، فإنه يدخل فيه ما يحصل في القلب مما يظنه صاحبه علماً عقب النظر والاستدلال إذا كان باطلاً.

ومما يدل على ذلك ما جاء عن غير واحد من الصحابة كأبي بكر وابن مسعود رضي الله عنهما، فيما يقولونه باجتهادهم إن كان صوابا فمن الله، وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان، فجعلوا ما يُلْقَى في النفس من الاعتقادات التي ليست مطابقة من الشيطان.

وحقيقة ذلك أن الله وَكَّل بالإنس ملائكة وشياطين يلقون في قلوبهم الخير والشر، فالعلم الصادق من الخير، والعقائد الباطلة من الشر، كما سبق قول ابن مسعود ﷺ (ت: ٣٣هـ): «**لمة الملك تصديق بالحق و لمة الشيطان تكذيب بالحق**». و كما أخبر الله أن الملائكة توحي إلى البشر ما توحيه، وأخبر أنه يكلمهم بملك يوحي بإذنه ما يشاء، وإن كان البشر قد لا يشعر بأنه من الملك، كما لا يشعر بالشيطان الموسوس.

ومما يَحْصُلُ بسبب تلك الإملاءات الشيطانية، نسيان الحق، والوقوع في الخطأ، فإنها كلَّها من الشيطان، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[الأنعام: ٦٨].

ولـمَّا نام النبي ﷺ وأصحابه عن الصلاة قال لهم: (**إِنَّ هذا وادٍ بِهِ شَيْطانٌ فَرَكِبُوا حتى خَرَجُوا من ذلك الْوَادِي ثُمَّ أَمَرَهُمْ رسول الله ﷺ أَنْ يَنْزِلُوا وَأَنْ يتوضؤوا وَأَمَرَ بِلَالاً أَنْ يُنَادِيَ بِالصَّلَاةِ أو يُقِيمَ فَصَلَّى رسول الله ﷺ بِالنَّاسِ... ثُمَّ التفت رسول الله ﷺ إلى أبي بَكْرٍ فقال: إِنَّ الشَّيْطَانَ أتى بِلَالاً وهو قَائِمٌ يُصَلِّي فَأَضْجَعَهُ، فلم يَزَلْ يُهَدِّئُهُ كما يُهَدَّأُ الصَّبِيُّ حتى نَامَ...**)[1].

وكما تكون وسوسة الجنة أخباراً فقد تكون إنشاء.[2]

ومثاله ما أخبر عنه يوسف في قوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾[يوسف: ١٠٠].

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب وقوت الصلاة، باب: النوم عن الصلاة (١/ ١٤) برقم (٢٦)، والبيهقي في معرفة السنن والآثار، في كتاب الصلاة، باب: قضاء الفائتة (٢/ ٨٧) برقم (٩٨١)، من حديث زيد بن أسلم مرسلاً. وأصل القصة ثابتة في البخاري (٣/ ١٣٠٨) برقم (٣٣٧٨)، من حديث عمران بن الحصين، وفي صحيح مسلم من حديث أبي قتادة (١/ ٤٧٢) برقم (٦٨١) وقد أطال فيها الكلام ابن حجر في الفتح (١/ ٤٤٨). وانظر: منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٥/ ١٨٢-١٨٦).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٧/ ٥٣٠-٥٣٢)

وسوسة الناس:

وهو النوع الثاني للوسوسة، والحاجة ماسَّةٌ إلى الإشارة إلى هذا النوع، وذلك لخفائه على العباد؛ لأن الأمم اعتادوا أن يحذرهم المصلحون من وسوسة الشيطان، وربما لا يخطر بالبال وسوسة أهل نوعهم من الإنس، الذي يرى بعض العلماء أنه أشد خطراً من وسواس الشياطين، وهو أجدر منهم بالتعوُّذ؛ لأنهم منهم أقرب، وهم أقدر على الضرر، بسبب دخولهم معهم، وملازمتهم لهم.(١)

وتتنوع في القرآن إلى نوعين:

١- وسوسة الإنسي إلى غيره: وهو الذي جاء ذكره في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾[الأنعام: ١١٢].

٢- وسوسة نفس الإنسي له: وهو الذي جاء ذكره في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[ق: ١٦]، وهذا يدلُّ على أن للنفس وسوسة، فهنا نفس الإنسان وسوست لنفسه، وهو ما يسمى بحديث النفس.(٢)

مَحَلُّ الوسوسة من الإنسان:

إن القلب مَحَلُّ الخطرات والأفكار بشتى أنواعها ودرجاتها، وهو أيضاً محل الوسوسة، ولكن قال تعالى هنا في هذه السورة: ﴿يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾[الناس: ٥] فذكر الصدر ولم يذكر القلب، وسبب ذلك أن الصدر هو ساحة القلب وحصنه، وبيته، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[الحج: ٤٦].

---

(١) انظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ٦٣٥).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٧/ ٥١٠-٥١١).

ومن الصدر تَرِدُ الواردات من هموم وغموم وغيرها إلى القلب، فهـي تجتمع في الصدر ثم تلج إلى القلب، فالشيطان يجيء إلى الصدر، فيلقي ما يريد إلقاءه في القلـب، فهو موسوس في الصدر، ووسوسته واصلة إلى القلب.

وفي هذا التعبير إشارة إلى عَدَمِ تمكُّنِ الوسوسةِ، وأنها غير حالَّةٍ في القلب، بل هي محومة في الصدر حول القلب.(١)

هذا هو الشر الأعظم المتعلق بالنفس الذي يكون من داخلها وهو الوسوسة.

ومع خطورتها بسبب طبيعتها التي تجعلها مصاحبة للإنسان لا تنفكُّ عنـه، فـإن الذي يزرعها في النفس الإنسانية من إنسي وجني يقوم بـذلك بكثـرة وكثافـة وإصرار ومن هنا سَمَّاه الله وسواساً ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴾، فإن الوَسْواس: بالفتح اسم بمعنى المصدر: الوسوسة، كالزَّلزال بمعنى الزلزلة، وأمَّا المصدر فوِسْواس بالكسر - كزِلْزال.

والمراد به هنا المتكلم بالوسوسة من شيطان وإنسان، سُمِّي بالمصدرِ كأنه وَسْوَسَةٌ في نفسه؛ لأنها صَنْعَتُه وشُغْلُه الذي هو عاكف عليه، فهو من باب المبالغة، نظيره قوله: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ [هود: ٤٦].(٢)

وتعريفه للجنس، فهو يشمل الـشياطين التـي تُلْقـي في أنفُـس النـاس الخـواطر الشريرة، كما قـال تعـالى: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾[طه: ١٢٠]، ويـشمل كـل مـن يتكلم كلاماً خفياً من الناس وهم أصحاب المكايد والمؤامرات الذين يتسارُّون لتـدبير

(١) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (٢/ ٢٧٩)، التسهيل لعلـوم التنزيـل لابـن جـزي (٤/ ٢٢٧)، مجمـوع الفتاوى لابن تيمية (١٨/ ٣١٢)، بـدائع الفوائـد لابـن القـيم (٢/ ٤٨٥-٤٨٦)، الفوائـد لابـن القـيم (٢٦)، روح المعاني للآلوسي (٣٠/ ٢٨٧).

(٢) انظر: الكشاف للزمخشري (٤/ ٨٢٩)، التفسير الكبير للرازي (٣٢/ ١٨١)، إملاء ما من به الرحمن (٢/ ٢٩٨)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٠/ ٢٦١)، الدر المـصون في علـوم الكتـاب المكنـون (١١/ ١٦٢)، روح المعاني للآلوسي (٣٠/ ٢٨٦).

المكايد، وإلحاق الأذى بالناس، من اغتيال، أو سرقة، أو إضلال، ويحرصون ألَّا يعلم من يريدون الإيقاع به.

ومنهم الذين كانوا يتربَّصون برسول الله ﷺ الدوائر، ويُغْرُون الناس به.(١)

وفي الآية وصف له بكثرة الاختفاء والانقباض وهو الخُنوس في ﴿ٱلْخَنَّاسِ﴾، وهي صفة ذلك الوسواس الشرير وعادته، كلما ذكر العبدُ ربَّه، فإنه يختفي وينقبض في ذِلَّة وصَغار، وفي ذلك إشارة إلى كيفية مواجهته والسلاح الناجع معه.

وهذا الوصف ينطبق على الوسواس من الشيطان ومن الإنس.(٢)

ومن هنا يُرى الإنسان يَهُمُّ بخواطر الشر، ثم يطرق ويتردد ويخاف تبعاتها وتزجره النفس اللَّوامة، أو يزَعه وازع الدين أو الحياء أو خوف العقاب عند الله أو عند الناس ثم تعاوده حتى يطمئن لها ويرتاض بها، فيصمم على فعلها فيقترفها، فكأنَّ الشيطان يبدو له ثم يختفي، ثم يبدو ثم يختفي حتى يتمكن من تدليته بغرور.(٣)

وهذا الإقدام على الشر والإحجام عنه أثر لصراع الوسواس الخنَّاس مع النفس اللوامة، ومع الذكر الرباني الفطري الذي يوقظه الملَك بلمته، يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[الأعراف: ٢٠١].(٤)

وهكذا نرى الوسواس -بوسوسته ودوامه عليها وانشغاله الدائم بها حتى صارت عادة له- هو الخطر الأعظم التي يتهدد النفس من داخلها، ونعلم حينئذ أهمية الاستعاذة من شره.

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٠/ ٦٣٣) بتصرف يسير.

(٢) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٥/ ٥٤٠)، التفسير الكبير للرازي (٣٢/ ١٨١)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٠/ ٢٦٢)، درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٣/ ٣١٧)، وانظر: بدائع الفوائد لابن القيم (٢/ ٤٧٩-٤٨٠)، روح المعاني للآلوسي (٢٣/ ٢٨٦).

(٣) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٥/ ٥٤٠)، التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٠/ ٦٣٤).

(٤) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٥/ ٥٤٠).

ونعلم حينئذ أن عصمة الله تعالى للعبد من شروره أصل الوقاية من كل شر؛ لأن الوسوسة مبدأ كل شر من كفر وفسوق وعصيان، وعقوبات الرب ﷻ إنما تكون على تلك الشرور، وسائر ما يصيب العبد من الشرور من أمثاله من الإنس أو من الجن، وكذا العقوبات السماوية إنما تقع له بسبب ذنوبه التي وقع فيها بسبب الوسوسة، وسائر ما يحصل للعبد من غير ذلك السبيل؛ بسبب استجابته لأوامر ربه من الجهاد والهجرة في سبيله، وما يصيبه من تطبيق حدود الله تعالى عليه بسبب ذنوبه الدنيوية، كلها خير له، يُكَفِّر الله بها ذنوبه في الدنيا أو يخفف بها عنه عذاب الآخرة.(١)

كما يدخل تحت هذه الاستعاذة الشاملة في هذه السورة كلُّ الشرور التي تحدث له من الناس؛ لأنها إنما تحدث له بسبب وسوسة الوسواس للناس بإيذائه، وهي من شر الوسواس العام(٢).

ومن هنا ندرك أهمية هذه السورة في الاستعاذة، كما جاءت بذلك الأحاديث . فعن عُقْبَةَ بن عامِرٍ قال: بَيْنا أنا أَسِيرُ مع رسول اللهِ ﷺ بين الْجُحْفَةِ وَالْأَبْواءِ إِذْ غَشِيَتْنَا رِيحٌ وَظُلْمَةٌ شَدِيدَةٌ فَجَعَلَ رسول اللهِ ﷺ يَتَعَوَّذُ بـ«أعوذ بِرَبِّ الْفَلَقِ» و«أعوذ بِرَبِّ النَّاس» وَيَقُولُ: (**يا عُقْبَةُ تَعَوَّذْ بِهِمَا فما تَعَوَّذَ مُتَعَوِّذٌ بِمِثْلِهِمَا**) قال: وَسَمِعْتُهُ يَؤُمُّنا بهما في الصَّلاةِ)(٣).

٢- بقية شرور الوسواس الخناس:

ومع ذلك فإن عموم التعبير: في قوله: ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴾ يدل على أن المستعاذ منه هنا ليس فقط الوسوسة، بل المراد الاستعاذة من جميع الشرور، فإن كلمة

---

(١) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم (٢/ ٤٨١).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٧/ ٥١٤-٥١٩).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، باب في المعوذتين (٢/ ٧٣)، برقم (١٤٦٣)، والبيهقي في سننه، باب في المعوذتين (٢/ ٣٩٤)، برقم (٣٨٥٦)، والطبراني في الكبير (١٧/ ٣٤٥)، برقم (٩٥٠)، والإمام أحمد في المسند (٢٨/ ٥٣١)، وغيرهم من حديث عقبة بن عامر، وصححه محققو المسند، والألباني ـ رحمه الله ـ في صحيح سنن أبي داود. وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٧/ ٥١٤-٥١٩).

شر نكرة مضافة إلى معرفة، وهي الوسواس، فتكون الاستعاذة شاملة لجميع شرور الوسواس الخناس، ولذا قيل: من شر الوسواس، ولم يقل: من شر وسوسة الوسواس.(١)

وشرور شياطين الإنس والجن الأخرى كثيرة، لا يمكن حَصْرُها ، وسيأتي ذِكْرُ ما خَصَّه القرآن بالذكر منها.

وقد ذكر ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله تعالى كثيراً من شرور شياطين الجن من سرقة أموال الناس، والتسلط عليهم في نومهم، والقعود لهم بطرق الخير كلها، وكيد أبيهم لأبي البشر حتى أخرجه من الجنة، واستقطاعه من أولاده القسم الأكبر إلى النار، وتصدِّيه لإيذاء صفوة الخلق من الأنبياء والصالحين، ما يشير إلى كثرة شرور شياطين الجن والإنس، على أنه رحمه الله تعالى حصر شر الشيطان في ستة أجناس هي: الكفر، والبدعة، والكبائر، والصغائر، والمباحات، والانشغال بالمفضول. وكل تلك الشرور تدخل تحت الاستعاذة الشاملة في هذه السورة.(٢) والله أعلم

ومع ذلك، فإن محور الاستعاذة الشرور المتعلقة بالنفس من داخلها.(٣)

وقد جاءت بأسلوب عام لجميع شرور الوسواس الخناس.

المطلب الثاني: الاستعاذة من وسوسة الشيطان وجميع صور أذاه النفسي والبدني:

إذا كان الأسلوب السابق فيه الاستعاذة من جميع شرور الوسواس بأنواعه المختلفة، فإن الأسلوب هنا أكثر تحديداً؛ إذ فيه الأمر بالاستعاذة من جميع شرور النوع الأعظم من أنواع الوسواس، وهو الوسواس الجني الشيطاني.

---

(١) انظر: معالم التنزيل للبغوي (٤/ ٥٤٨)، المحرر الوجيز لابن عطية (٥/ ٥٤٠)، الرد على المنطقيين لابن تيمية (٥٠٦)، منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٥/ ١٨٧)، بدائع الفوائد لابن القيم (٢/ ٤٨١، ٤٨٩-٤٩٠)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٦٣٥).

(٢) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم (٢/ ٤٨١-٤٨٦).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٧/ ٥١٥).

وهذه إشارة إلى مزيد خطورته، فقد خص باستعاذة أخرى.

والاستعاذة هنا استعاذة شاملة لجميع صور أذى الشيطان، فيدخل فيها الاستعاذة من الأذى البدني بعموم النص؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾[المؤمنون: ٩٧، ٩٨].

فهمزات الشيطان في الآية الأولى شاملة لأضراره البدنية والنفسية، ويتبين ذلك من بيان معنى الهمز في اللغة والسياق.

فالهَمَزات جمع الهَمْزة، وهي المرة من فعل الهَمْز.

وأصل الهمز في اللغة يدور على شدة الدفع والتحريك بيد وغيرها، والعصر، والنخس. وهو كالهزِّ والأزِّ.

تقول: هَمَزْتُ رأسَه، وهَمَزْت الجَوْزَة بكفِّي. ورجل هَمَّاز: يَهْمِز الناس، أي يغمِز فيهم. وهَمَزَه: دفعه وضربه، والهَمْز: الضَّغْط. وقد هَمَزَ القَناةَ إذا ضَغَطَها بالمَهامِز للتَّثْقيف ...والهَمَّازُ والهُمَزَة: الذي يخلف الناس من ورائهم، ويأكل لحومهم، وهَمَز الشيطان الإنسان: همس في قلبه وسواساً. والهَمْز: العَضُّ[1].

وكلام السلف في معنى الهمزات هنا يدل على شمولها؛ فقد قال ابن عباس (ت: ٦٨هـ): نزغاتهم، وقال الحسن(ت: ١١٠هـ): وساوسهم، وقال مجاهد (ت: ١٠٤هـ): نَفْخُهم ونَفْثُهم، وقال ابن زيد (ت:١٦٨هـ): خَنْقُهم الناس[2]، وقال

(١) انظر: العين للخليل (٤/ ١٧)، جمهرة اللغة لابن دريد (٢/ ٨٣٠)، تهذيب اللغة للأزهري (٦/ ٩٦)،المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (٤/ ٢٤٢)، النهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٥/ ٢٧٢)، لسان العرب لابن منظور (٥/ ٤٢٥)، تاج العروس للزبيدي (١٥/ ٣٨٨)، وانظر: زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٤٨٩)، التفسير الكبير للرازي (٢٣/ ١٠٣)، تفسير البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٢٧٢)، روح المعاني للآلوسي (١٨/ ٦٢)، أضواء البيان للشنقيطي (٥/ ٣٥٣).

(٢) انظر: جامع البيان للطبري (١٧/ ١٠٦).

أهل المعاني: دَفْعُهم بالإغواء إلى المعاصي.[1]

وتلك الأقوال تجمع جميع أنواع إيذاء الشياطين للإنسان تحت معنى الهمزات وهي على نوعين:

١- **الإيذاء النفسي**: والمراد بها كيد الشياطين للإنس، وتَصَرُّفاتُهم بتحريك القوى الإنسانية بالوسوسة وحملها على الباطل؛ مثل تحريك القوة الغضبية التي تنتج سَوْرات الغضب التي لا يملك الإنسان فيها نفسه ، أو حثها على المعاصي بإغرائها بمخالفة ما أمر الله تعالى به، أو غيرها، كما يشمل بعث أعدائهم على إيذائهم بالوسوسة.[2]

٢- **الإيذاء البدني**: بالخنق، والجنون ونحوها. وهذا معنى قول ابن زيد السابق.

وكلا هذين المعنيين يدخل تحت المعنى اللفظي للهَمَزات في الآية.

وأمَّا المعنى السياقي فهو يركز على المعنى الأول بل على جزء منه، وهو: الوساوس والإغراءات التي يلقيها الشيطان في نفوس المؤمنين ليواجهوا أعداءهم بأسلوبهم نفسه، فيدفعون السيئة بالسيئة، وتمنعهم من العفو والصفح وحسن التعامل، ودفع السيئة بالحسنة، وذلك لأن السياق في ذلك: قال تعالى: ﴿ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ * رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ * ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ *وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾[المؤمنون: ٩٣-٩٨][3].

وهذا المعنى السياقي لا يتعارض مع المعنى اللفظي العام، بل يَدْخُلُ فيه دخولاً

(١) انظر: معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٣١٦).

(٢) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ١٥٥)، التفسير الكبير للرازي (٢٣/ ١٠٣).

(٣) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ١٥٥)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٦/ ١٤٩-١٥٠)، روح المعاني للآلوسي (١٨/ ٦٢)، التحرير والتنوير لابن عاشور (١٨/ ١٢١).

أوليّاً، كما أن السياق لا يخصص العموم المفهوم من الإضافة في ﴿هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾، فالنزغات وسَوْرات الغضب من الشيطان، وهي من المتعوذ منها في الآية، والتعوذ من الجنون مرادٌ أيضاً.(١)

وجمع الهمزات: للمرَّاتِ أو لتنوُّعِ الوساوسِ أو لتعدُّدِ المضافِ إليه.(٢)

ومثله تفسير الهمز في حديث الرسول ﷺ: **(أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ من الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ من هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ)**(٣)، بأنه الجنون.(٤)

وهو معنى يُراد به التأثير البدني في الإنسان بالمسِّ والخنق والجنون. والله أعلم.

ويفسِّر هذه الهمزاتِ من القرآن قولُه تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾[مريم: ٨٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾[الزخرف: ٣٦، ٣٧].(٥)

وقوله: ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ تأكيد للاستعاذة الشاملة من كل أضرار الشيطان. فإن الحضور هو القرب من الشيء ووروده ومشاهدته عن قرب.(٦)

والاستعاذة مِنْ حُضور الشيطان شاملة تقتضي الاستعاذة من أيِّ سوء يصيب به العبد سواء كان بالوسوسة والإغواء والإضلال أو بالإيذاء البدني، وكلام المفسرين

---

(١) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ١٥٥)

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٦/ ١٤٩)، روح المعاني للآلوسي (١٨/ ٦٢).

(٣) سيأتي تخريجه.

(٤) فسره بذلك أبو عبيد كما في شرح السنة للبغوي (٣/ ٤٣)، قال في شرح «هَمْزِه»: المُوتة. (الموتة الجنون سَمَّاه همزاً من النخس والغمز وأما الشعر إنما سماه نفثاً لأنه كالشيء ينفثه الإنسان مِنْ فيه).

(٥) أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن - (٥/ ٣٥٣).

(٦) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (٤/ ١١٧)، معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٧٥)، المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (١٢٢).

يدور على هذا.[1]

قال ابن زيد (ت: ١٨٢هـ): ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ في شيء من أمري.[2]

قال الشنقيطي(ت: ١٣٩٣هـ): «والظاهر في قوله: ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ أن المعنى: أعوذ بك أن يحضرني الشيطان في أمر من أموري كائناً ما كان، سواء كان ذلك وقت تلاوة القرآن، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ أو عند حضور الموت، أو غير ذلك من جميع الشؤون في جميع الأوقات.»[3]

وفي عطف الأمر بالاستعاذة من حضورهم بعد الأمر بالعوذ من همزاتهم التحذيرُ من ملابسة الشياطين أدنى ملابسة.

وفي إعادة فعل الاستعاذة ﴿أَعُوذُ﴾، وتكرار النداء في قوله: ﴿رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ﴾ و﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾،[4] إظهار كمال الاعتناء بالمأمور به وهو الاستعاذة من همزات الشياطين، وحضورهم أيَّ شأن من شؤون العبد.

وبمعنى هذه الاستعاذة الشاملة من جميع صور إيذاء الشيطان النفسية، والبدنية ماحكاه ﷻ عن أُمِّ مريم في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[آل عمران: ٣٦].

فإن هذه الاستعاذة شاملة لجميع صور أذاه الحسي والبدني أيضاً.

---

(١) انظر: معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٣١٦)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ١٥٥)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٤٨٩)، التفسير الكبير للرازي (٢٣/ ١٠٣)، البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٣٨٧)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥/ ٤٩٢)، و أضواء البيان للشنقيطي (٥/ ٣٥٣).

(٢) جامع البيان للطبري (١٧/ ١٠٦).

(٣) أضواء البيان للشنقيطي (٥/ ٣٥٣).

(٤) انظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٦/ ١٤٩)، روح المعاني للآلوسي (١٨/ ٦٢).

المطلب الثالث: الاستعاذة من وسوسة الشيطان في حالات معينة:

إن وسوسة الشيطان للإنسان داخلة في الاستعاذة من شرور الوسواس الخناس عامة، وهو الأسلوب الأول، وهي داخلة أيضاً في الاستعاذة من وسوسة الشيطان وجميع صور أذاه التي مرت في المطلب الثاني.

ولكن الأسلوب القرآني هنا هو تخصيصها بالاستعاذة في حالات معينة مخصوصة.

وإذا تأملنا في هذه الحالات وجدناها جامعة في بابها.

فالاستعاذة من وسوسة الشيطان عند الشعور بها من شأنها أن تدفع الأذى الشيطاني عن العبد عند كل باب من أبوابه، وتمنع عنه ضرره في كل أحيانه، والظاهر أن الاستعاذة هنا تتعلق بأبواب الشر جميعاً.

والاستعاذة من وسوسة الشيطان عند قراءة القرآن هي المقابلة للحالة الأولى، فهي استعاذة منه عند الاتصال بالجامع لأبواب الخير جميعاً، ومن شأن تلك الاستعاذة أن تُمَكِّن العبد من الاستفادة من ذلك الخير العميم.

وبهذا نجد هذه الحالات المخصوصة يجتمع فيها دَفْعُ كلِّ شر، وجَلْبُ كلِّ خير.

ومن هنا نعلم الحكمة من التنصيص عليها دون سواها في مجال الشرور المتعلقة بالنفس، ويظهر الإعجاز في الإجمال والتفصيل القرآني.

الحالة الأولى: عند الشعور بها:

وذلك في قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ * وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ * وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾[الأعراف: ١٩٩-٢٠٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ

عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾[فصلت: ٣٤-٣٦].

فإن النَّزْغَ في اللغة يطلق على: حَمْلِ بعض الناس على بعض بالإفساد بينهم[١]، وعلى شبه الوَخْزِ والطعن.[٢]، وذكر الغير بالأمر القبيح، واغتيابه.[٣]

وحقيقته -كما قال ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ)-: مسٌّ شديد للجِلد بِطرَف عُود أو إصبَع أو إبرة.[٤]

ومن ثم أطلق على الإزعاج بالحركة إلى الشر أو الفساد، ثم صار في العُرْفِ غالباً على اسم أفعال الشيطان؛ لأن حركاته مسرعة مفسدة.[٥]

ولهذا ذكر العلماء أن النزغ: فعل الشيطان في قَلْبٍ أو يد من إلقاء غضب وحقد أو بطش في اليد، فمن الغضب هذه الآية[٦]، ومن الحقد، قوله: ﴿نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ ﴾[يوسف: ١٠٠]، ومن البطش قول النبي ﷺ: (**لا يُشِرْ أحدكم على أخيه بالسلاح، لا ينزغ الشيطان في يده، فيلقيه في حفرة من حفر النار**)[٧].

فهذا المعنى للنزغ هو المراد في هذه الآية هنا، فهو بدايةُ الوسوسة بما يُسَوِّل

---

(١) العين للخليل (٤/ ٣٨٤).

(٢) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (٨/ ٧٨).

(٣) انظر: تاج العروس للزبيدي (٢٢/ ٥٨٠).

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٤/ ٢٩٧).

(٥) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٢/ ٤٩١)، التفسير الكبير للرازي (١٥/ ٧٩)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧/ ٣٤٨)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٥٣٣)، روح المعاني للآلوسي (٩/ ٢٤، ١٤٧/ ١٢٤)، التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٤/ ٢٩٧).

(٦) الآية ٢٠٠ من سورة الأعراف.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ من حمل علينا السلاح فليس منا (٦/ ٢٥٩٢) برقم (٦٦٦١)، وأخرجه مسلم في البر والصلة والآداب باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم برقم ٢٦١٧. وانظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٥/ ١٧).

للإنسان من المعاصي، وقد سُمِّيَتْ نَزْغاً بجامع التأثير الخفي الذي تحدثه كما يحدثه نزغ الإبرة في الجسم،[1] ولهذا قال البغوي (ت: ٥١٦هـ): (قال الزجاج (ت: ٣١١هـ): «النزغ أدنى حركة تكون من الآدمي، ومن الشيطان أدنى وسوسة».[2]

وهي اللمَّة المشار إليها في الأثر -السابق-: (**إن للملك لَمَّةً وإن للشيطان لَمَّةً**)[3]، وهاتان اللمتان هي الخواطر من الخير والشر.

وهذا المعنى شامل لما يدلُّ عليه سياق الحال في هذه الآية من أن المراد الإغضاب كما فسره الطبري (ت: ٣١٠هـ)، مستدلاً بما رواه عن ابن زيد، في قوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[الأعراف: ١٩٩] قال رسول الله ﷺ: فكيف بالغضب يا رب؟ قال: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[4].

وكذا هو شامل لما أشار إليه الرازي (ت: ٦٠٦هـ) من أن قوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[الأعراف: ١٩٩] قبل الآية تدل على أن الاستعاذة من محاولة الإغضاب من الشيطان، فإن تلك قرينة سياقية تدل على ذلك.[5]

وفي الآية زيادةُ تنفيرٍ عن الغضب وفرطُ تحذيرٍ عن العمل بموجبه، وفي الأمر بالاستعاذة بالله تعالى تهويلٌ لأمره، وتنبيهٌ على أنه من الغوائل الصعبةِ التي لا يُتَخَلَّصُ من مَضَرَّتها إلا بالالتجاء إلى عصمة الله ﷻ.[6]

والمعنى العام للآية: في أي وقت، وفي أي حال شعرت بوسوسة من الشيطان

---

(١) انظر: التفسير الكبير للرازي (١٥/ ٧٩)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧/ ٣٤٨)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٣/ ٣٠٨، ٨/ ١٤)، روح المعاني للآلوسي (٩/ ١٤٧)، التحرير والتنوير لابن عاشور (٩/ ٢٢٩، ٢٤/ ٢٩٧).

(٢) معالم التنزيل للبغوي (٢/ ٢٢٤)، وهو بمعناه في معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٣٩٦).

(٣) سبق تخريجه ص (٨٣).

(٤) انظر: جامع البيان للطبري (١٠/ ٦٤٥).

(٥) انظر: التفسير الكبير للرازي (١٥/ ٧٩).

(٦) انظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٣/ ٣٠٨).

وتثبيط عن الخير أو حث على الشر وإيعاز عليه من مجازاة السيئة بمثلها أو غير ذلك، فالتجِئ واعتصم بالله، واحْتَمِ بحماه، فإنه ﷻ سميع لما تقول، عليم بنيَّتك وضعفك وحاجتك إليه وقوة التجائك له، فسيحميك من كل فتنة، وسيقيك من وسوسته، وسيحوطك برعايته، وسينجيك بفضله.(١)

والحالة الثانية: عند قراءة القرآن:

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[النحل: ٩٨]

وهذه الآية تدل على أن من مواضع الاستعاذة عند قراءة القرآن أن تكون قبلها. هذا قول جمهور العلماء، ونسبه الرازي (ت: ٦٠٦هـ) إلى أكثر علماء الصحابة والتابعين.

وفسروا قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ بأنه إذا أردت أن تقرأ القرآن، فأوقع الماضي موقع المستقبل لثبوته.

وحقيقة معناه: إذا أردت القراءة فاستعذ؛ كقول القائل: إذا قلت فاصْدُقْ، وإذا أحرمت فاغتسل، يعني قبل الإحرام والمعنى في جميع ذلك: إذا أرَدْت ذلك، وكذلك قوله: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ معناه إذا أردت القراءة.(٢)

ويدل على أن المراد هو هذا المعنى:

١- النظائر في الأسلوب، فقد جرت العادة بإطلاق مثل هذا الأسلوب والمراد: إذا أردت؛ مثل قوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾[المائدة: ٦] والمراد إذا أردتم القيام إلى الصلاة، وكقوله: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ ﴾[الأنعام: ١٥٢]، وقوله: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ﴾[الأحزاب: ٥٣] وليس المراد أن تسألها من وراء حجاب بعد

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٣١٣).

(٢) انظر: جامع البيان للطبري (١٤/ ٣٥٧)، الكشاف (٢ / ٥٩٠)، التفسير الكبير للرازي (٢٠/ ٩٢)، البحر المحيط لأبي حيان (٥/ ٥١٧)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٥/ ١٣٩).

سؤال متقدم، وكقوله تعالى: ﴿إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾[المجادلة: ١٢].

قال الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ): «أظهر القولين في هذه الآية الكريمة: أن الكلام على حذف الإرادة، أي فإذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله.. الآية. وليس المراد أنه إذا قرأ القرآن وفرغ من قراءته استعاذ بالله من الشيطان، كما يُفْهم من ظاهر الآية، وذهب إليه بعض أهل العلم. والدليل على ما ذكرنا تكرر حذف الإرادة في القرآن وفي كلام العرب لدلالة المقام عليها، كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾[المائدة: ٦]، أي: أردتم القيام إليها كما هو ظاهر، وقوله: ﴿إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ﴾[المجادلة: ٩]، أي: إذ أردتم أن تتناجوا فلا تتناجوا بالإثم؛ لأن النهي إنما هو عن أمر مستقبل يراد فعله، ولا يَصِحُّ النهيُ عن فِعْلٍ مضى وانقضى كما هو واضح».(١)

٢- السُّنَّة، فإنها المفسِّرة للقرآن، فقد جاء عنه ﷺ أنه كان يتعوَّذ في صلاته قبل القراءة:

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل فاستفتح صلاته وكبر قال: (**سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك وتعالى جَدُّك، ولا إلهَ غيرُك، ويقول: لا إله إلا الله ثلاثاً، ثم يقول: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من هَمْزِه ونفخه ونفثه**)(٢).

وهذا نص في الرد على من يرى القراءة قبل الاستعاذة بمطلق ظاهر اللفظ.

فهذا الحديث دَلَّ على أن التقديمَ هو السُّنَّة، وبقي سببية القراءة للاستعاذة، والفاء في ﴿فَٱسْتَعِذْ﴾ هي الدالة على أن سبب الاستعاذة القراءة، وذلك لا يتمُّ إلا بأن

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤٤٣).

(٢) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه، باب: إباحة الدعاء بعد التكبير، وقبل القراءة (١/ ٢٣٨) برقم (٤٦٧)، والبيهقي في الصغرى، باب: التعوذ قبل القراءة، (١/ ٢٤٥)، برقم (٢٧٨)، وأبو داود في سننه، باب: من رأى الاستفتاح بسبحانك اللهم وبحمدك، (١/ ٢٠٦)، وغيرهم من حديث أبي سعيد، وحَسَّنه الألباني في إرواء الغليل (٢/ ٥١).

تقدر الإرادة، ليصحَّ المعنى.

وأيضاً الفراغ عن العمل لا يناسب الاستعاذة من العدو، وإنما يناسبها الشروع فيه والتوسط.(١)

ولا شك أن قوله: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ ﴾[النحل: ٩٨] يحتمل أن يكون المراد منه إذا أردت، وإذا ثبت الاحتمال وجب حمل اللفظ عليه توفيقاً بين هذه الآية وبين الأخبار الواردة.

كما أن المقصود من الاستعاذة نَفْيُ وساوس الشيطان عند القراءة قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾[الحج: ٥٢]، فإن الأمنية هي التلاوة، والوسوسة تكون أثناء التلاوة لا بعدها، وعليه فإن الاستعاذة الواقية من تلك الوسوسة هي التي تقع قبل التلاوة لا بعدها.(٢)

ومن حِكَمِ تشريع الاستعاذة عند قراءة القرآن ما ذهب إليه ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ) بقوله: «وإنما شُرِعَت الاستعاذة عند ابتداء القراءة إيذاناً بنفاسة القرآن ونزاهته، إذ هو نازل من العالم القدسي الملَكي، فجعل افتتاح قراءته بالتجرُّد عن النقائص النفسانية التي هي من عمل الشيطان، ولا استطاعة للعبد أن يدفع تلك النقائص عن نفسه إلا بأن يسأل الله تعالى أن يبعد الشيطان عنه بأن يَعُوذ بالله؛ لأن جانب الله قدسيّ لا تسلك الشياطين إلى من يأوي إليه، فأرشد الله رسوله إلى سؤال ذلك، وضمن له أن يعيذه منه، وأن يعيذ أمَّته عَوْذاً مناسباً، كما شُرِعت التسمية في الأمور ذوات البال، وكما شُرعت الطهارة للصلاة».(٣)

---

(١) انظر: روح المعاني للآلوسي (١٤/ ٢٢٩).

(٢) انظر: التفسير الكبير للرازي (١/ ٨٥).

(٣) التحرير والتنوير (١٤ / ٢٧٦-٢٧٧)

المبحث الثاني: المستعاذ منه المتعلق بشرور الخلق عامة

كما ظهرت خصائص القرآن الكريم في الحديث عن المستعاذ منه المتعلق بشرور النفس، تظهر في الحديث عن المستعاذ منه المتعلق بشرور الخلق عامة.

لقد وردت في القرآن الكريم إجمالاً وتفصيلاً، والإجمال والتفصيل من خصائص القرآن الكريم التي تبدو ظاهرة في موضوعاته، فما يُجْمَلْ في مكان يُفَصَّلْ في مكان آخر، وللإجمال مغزاه من الإحكام، والشمول، وللتفصيل مغزاه في تركيز الاهتمام على ما يفصل وإعطائه مزيد العناية ولفت الأنظار إليه.

والأساليب التي ورد في سياقها المستعاذ منه المتعلق بشرور الخلق هي:

الأسلوب الأول: الأمر بالاستعاذة من شرور الخلق عامة، كما في سورة الفلق، وهو إجمال.

الأسلوب الثاني: الاستعاذة من شرور مخصوصة. وفي ذلك تفصيل وتمثيل بأعظم الشرور وأخطرها.

وبنفس طبيعة القرآن سيكون التناوُلُ للمستعاذ منه.

المطلب الأول: الأمر بالاستعاذة من شر الخلق عامة:

لقد بيَّن القرآن الكريم الشرور الخارجة عن النفس التي يستعاذ منها، فبيَّن أن مجمل ما يستعاذ منه هو شر الخلق: فقال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ * وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[الفلق: ١-٥] فإن قوله: ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ عامٌ في الاستعاذة من كل شيء؛ إذ حقيقة معناها: من شَرِّ كل شيء له شر؛ لأن كل ما سوى الله فهو مخلوق.[1]:

(١) انظر: جامع البيان للطبري (٣٠/ ٧٤٥)، المحرر الوجيز لابن عطية (٥/ ٥٣٨)، زاد المسير لابن الجوزي (٩/ ٢٧٣).

وشرُّ ما خلق أنواع:

منه: ما يفعله المكلَّفون من أنواع المعاصي والمآثم، ومضارة بعضهم بعضاً، من قتل وبغي وظلم وشتم وسَبّ.

ومنه: ما يفعله غير المكلفين من الأكل والنهش واللدغ والعض كالسِّباع والحشرات.

ومنه: ما وضعه الله تعالى في الجمادات من أنواع الضرر كالإحراق في النار والقتل في السُّمِّ، وما خلق من الأمراض والأسقام، والقحط وأنواع المحن والآفات.(١)

وهكذا تدخل جميع الشرور من العقلاء وغيرهم، بحيث تَعُمُّ الاستعاذة هنا شرَّ كل مخلوق فيه شر وكل شر في الدنيا والآخرة وشر شياطين الإنس والجن وشر السِّباع والهوام وشر النار والهواء وغير ذلك.(٢)

والظاهرُ تعميم ما خَلَقَ ليشمل نفس الشر النابع من نفس المستعيذ، ولا يمنع من ذلك نزول السورة ليستعيذ بها رسول الله ﷺ، ولكن قد يعني أن الداخل أولاً في النص، الشرور النابعة من الغير.(٣)

وإنما عبر بـ﴿مَا﴾ التي لغير العقلاء في قوله: ﴿مَاخَلَقَ﴾ على التغليب؛ لأنه لما غلب غير العقلاء عَبَّر بها لأن العبرة بالغالب.(٤)

---

(١) انظر: الكشاف للزمخشري (٤/ ٨٢٥)، التفسير الكبير للرازي (٣٢/ ١٧٧)، البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٥٣٣)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/ ٥٣٥)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٩/ ٢١٤)، تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٩٣٧)، في ظلال القرآن لسيد قطب (٦/ ٤٠٠٧)، أضواء البيان للشنقيطي (٩/ ١٥٩).

(٢) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم (٢/ ٤٤١).

(٣) انظر: روح المعاني للآلوسي (٣٠/ ٢٨٠)، تفسير القرآن الكريم (جزء عم) للشيخ محمد بن عثيمين (٣٥٢).

(٤) انظر: التفسير الكبير للرازي (٣٢/ ١٧٧).

وهذه السورة (سورة الفلق) تتحدث عن الشرور الصادرة للإنسان من غيره، عموماً وخصوصاً، فقوله تعالى: ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ في العموم، ثم خُصَّتْ بعض الشرور بالذكر.(١)

وبمعنى هذه الآية قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾[غافر: ٥٦].

ففي هذه الآية يأمره تعالى بالاستعاذة العامة ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ ﴾؛ لتشمل تلك الاستعاذة كل ما يستعاذ منه، وأولهم المذكورون الموصوفون بالمجادلة في آيات الله بغير سلطان أتاهم كِبْراً وحسداً له ﷺ على الفضل الذي آتاه الله أو الكرامة التي أكرمه بها من النبوة ، ولذلك فهم يجادلون بغير سلطان، يرومون إخمال الحق وإعلاء الباطل، وكل ذلك لن يدركوه ولن يبلغوه؛ لأنَّ اللهَ قد تكفَّل بإعلاء دينه ورَفْعِ كلمته، وهو الذي أعطاه النبوة وشَرَّفه بالرسالة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ولا يُدْرَك بالأماني.

فأُمر بالاستعاذة من شَرِّهم وحالهم وكبرهم وحسدهم بالله الذي يسمع كلامهم، ويرى تآمرهم، ويعلم سرَّهم وعلانيتهم.

ووجه العموم هنا أنه قال: ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ ﴾ ولم يذكر مستعاذاً منه، ليشمل كلَّ ما يستعاذ منه؛ لأنَّ فَتْحَ المتعلَّق يفيد العموم النسبي، وهو اختيار عدد من المفسرين.(٢)

وهذا هو الأقرب؛ لأنه الموافق للقواعد، والمعنى الأعم والأشمل، وفيه العمل بجميع الأدلة من السياق والقواعد.

وقد آثر ذِكْرَ الصدور دون القلوب للإشارة إلى عظم ذلك الكبر جِدّاً، فقد ملأ

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/ ١٦).

(٢) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٥٦٥)، التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٨)، تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٧٤٠)، التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٤/ ١٧٥).

القلوب وفاض منها حتى شغل الصدور التي هي مساكنها.[1]

وفي هذا مناسبة لأمره بالاستعاذة منه، فإنه لا يقدر عليه إلا هو، وهو قد بَشَّره وآنسه ﷺ بنفي أن يبلغوا ما في نفوسهم من أمانيَّ يمليها ذلك الكبر والحسد.[2]

المطلب الثاني: الاستعاذة من شرور مخصوصة:

وفي مقابل ذلك الأسلوب في الاستعاذة العامة الشاملة من شر كل ما يستعاذ منه، جاء التخصيص بالاستعاذة من شر بعض المخلوقات خاصة؛ إشارة إلى عِظَمِ الشرور التي تصدر منها أو فيها.

وإذا تأمَّلْنا في تلك المخلوقات المستعاذ منها، وجدناها تتكامل مع الاستعاذة الشاملة من شر الخلق عامة.

كما أنها أمور عامة يدخل تحت كل واحد منها أنواع من الشرور لا يعلم قدرها إلا الله تعالى.

وهذا يدلُّ على إحكام القرآن وإجماله، وأن ما في السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم من التعوذات، لا تكاد تخرج عن بيان ما جاء به القرآن، فهي مفسرة ومفصلة لإجمال القرآن وإحكامه.

ومن تلك المخلوقات:

١- شر الليل:

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾[الفلق: ٣] فإن فيه أقوالاً كثيرة[3] يجمع الصحيح منها أنه الليل إذا أظلم. هذا قول أكثر المفسرين.[4]

---

(١) انظر: نظم الدرر للبقاعي (٧/ ٣٣٢).

(٢) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٥٦٥).

(٣) انظر: هذه الأقوال في المحرر الوجيز لابن عطية (٥/ ٥٣٨).

(٤) انظر: جامع البيان للطبري (٣٠/ ٧٤٦)، زاد المسير لابن الجوزي (٩/ ٢٧٣)، تفسير القرآن العظيم =

وفي عطف الاستعاذة من شر الليل إذا اشتد ظلامه على الاستعاذة من شر المخلوقات كلها: تخصيصٌ له مع اندراجِهِ فيما قبلَهُ لزيادةِ الحاجةِ إلى الاستعاذةِ منه لكثرةِ وقوعِهِ.(١)

وإضافة الشر إلى ﴿غَاسِقٍ﴾ من إضافة الاسم إلى زمانه على معنى «في» كقوله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾[سبأ: ٣٣]، فقد أضافه إليه لملابسته له بحدوثه فيه، والليل تكثر فيه حوادث السوء من اللصوص والسباع والهوام.(٢)

ومعنى: ﴿وَقَبَ﴾ دخل وتغلغل في الشيء، ومنه الوَقْبة: اسم النقرة في الصخرة يجتمع فيها الماء، ووقبت الشمس غابت.(٣)

وتقييدُه بقولِهِ تعالى: ﴿إِذَا وَقَبَ﴾...؛ لأَنَّ حدوثَ الشر في الليل مع اشتداد ظلمته أكثرُ، والتحرزَ حينئذ أصعب وأعسر؛ ولذلك قيلَ: الليلُ أَخْفَى للويلِ، ولهذا فإنه وقت يتحينه اللصوص وقطاع الطرق وأصحاب الدعارة والعيث؛ لتحقق غلبة الغفلة والنوم على الناس فيه، يقال: «أغْدَر الليلُ»، لأنه إذا اشتد ظلامه كَثُرَ الغَدْر فيه، فعبر عن ذلك بأنه أغدَر.(٤)

والأقرب أن تنكير ﴿غَاسِقٍ﴾ في مقام الدعاء يراد به العموم؛ لأن مقام الدعاء يناسب التعميم.(٥)

«والمقصود هنا... الليل حين يتدفق فيغمر البسيطة. والليل حينئذ مخوف بذاته، فضلاً على ما يثيره من توقع للمجهول الخافي من كل شيء: من وحش مفترس يهجم،

= لابن كثير (٨/ ٥٣٦).

(١) انظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٩/ ٢١٤-٢١٥)

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٩/ ٢١٤-٢١٥)، التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٠/ ٦٢٧).

(٣) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٠/ ٦٢٧).

(٤) انظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٩/ ٢١٤-٢١٥)، التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٠/ ٦٢٧).

(٥) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٠/ ٦٢٧).

ومتلصص فاتك يقتحم، وعدو مخادع يتمكن، وحشرة سامة تزحف، ومن وساوس وهواجس وهموم وأشجان تتسرب في الليل، وتخنق المشاعر والوجدان، ومن شيطان تساعده الظلمة على الانطلاق والإيحاء، ومن شهوة تستيقظ في الوحدة والظلام، ومن ظاهر وخافٍ يدبُّ ويَثِبُ، في الغاسق إذا وقب!»[1].

وفي الليل آيات ودلائل لا تطلع إلا فيه، قد يتعلق بها البشر وقد تزيد بها الشرور على الرغم من أن لها تأثيراً خيراً في جوانب أخرى.

من هذه الآيات: القمر، فإنه آية الليل ودليله لا يظهر إلا فيه، وهو مستلزم له.

ولكن له من التأثير ما ليس لغيره، والاستعاذة من الشرِّ الحاصل عنه أقوى؛ ولهذا ورد عن النبي ﷺ من حديث عائشة -رضي الله عنها- أنه ﷺ نظر إلى القمر فقال: **(يا عائشة تَعَوَّذي بالله من شَرِّه فإنه الغاسق إذا وقب)**.[2]

وذلك لا يعارض كَوْنَ الليل هو الغاسق، ولا يعني قصر صفة الغاسق على القمر، فإن القمر آية الليل، بل ذلك دليل على أن القمر أولى بوصف الغُسوق. قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): «فالقمر أحق ما يكون بالليل بالاستعاذة والليل مظلم، تنتشر فيه شياطين الإنس والجن ما لا تنتشر بالنهار، ويجري فيه من أنواع الشر ما لا يجري بالنهار من أنواع الكفر والفسوق والعصيان والسحر والسرقة والخيانة والفواحش وغير ذلك، فالشر دائماً مقرون بالظلمة؛ ولهذا إنما جعله الله لسكون الآدميين وراحتهم، لكن شياطين الإنس والجن تفعل فيه من الشر ما لا يمكنها فعله بالنهار، ويتوسلون بالقمر وبدعوته، والقمر وعبادته، وأبو معشر

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب (٦/ ٤٠٠٧).

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٣٠/ ٣٥٢)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٨٤) برقم (١٠١٣٨)، وأحمد في مسنده (٤٢/ ٤٦٨)، برقم (٢٥٧١١)، وأبو يعلى في مسنده (٧/ ٤١٧)، برقم (٤٤٤٠)، من حديث عائشة رضي الله عنها بألفاظ متقاربة منها أنه ﷺ قال: «يا عائِشَةُ اسْتَعِيذِي بِاللهِ مِنْ شَرِّ هذا، فإنَّ هذا الْغاسِقُ إذا وَقَبَ»، وحَسَّنه محققو المسند.

البَلْخي[1] له «مصحف القمر» يذكر فيه من الكفريات والسحريات ما يناسب الاستعاذة منه»[2].

ومن هنا يُعْلَمُ سر من أسرار تخصيص الليل بالاستعاذة، ومما يدل على ذلك:

قوله ﷺ: (**لا تُرْسِلُوا فَواشِيَكُمْ وَصِبْيانَكُمْ إِذا غابَتِ الشَّمْسُ حَتَّى تَذْهَبَ فَحْمَةُ الْعِشَاءِ فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْبَعِثُ إِذَا غَابَتِ الشَّمْسُ حَتَّى تَذْهَبَ فَحْمَةُ الْعِشاءِ**).[3]

والفواشي: جمع فاشية وهي ما يُرْسَل من الدواب في الرعي.

والفحمة إقبال الليل وأول سواده .

والمراد أن جنس الشياطين تُبعث، أو رئيس الشياطين يُبْعَثُ بجنده إذا غابت الشمس حتى يذهب أول الليل.[4]

وفي الاستعاذة من الليل إذا أظلم بـ﴿بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ تناسب، وذلك أن الفلق هو الصبح الذي هو مبدأ ظهور النور، وهو الذي يطرد جيش الظلام وعسكر المفسدين في الليل، فيأوي كل خبيث وكل مفسد وكل لص وكل قاطع طريق إلى سَرَبٍ أو كِنٍّ أو غار، وتأوي الهوام إلى جحورها والشياطين التي انتشرت بالليل إلى أمكنتها ومحالها.

فأمر الله تعالى عباده أن يستعيذوا بربِّ النور الذي يقهر الظلمة ويزيلها ويقهر عسكرها وجيشها.[5]

---

(١) المنجم جعفر بن محمد البلخي صاحب التصانيف في النجوم والهندسة، مات في رمضان سنة ٢٧٢هـ، وَصَنَّف كتباً كثيرة من كتب الهذيان. انظر: السير (١٣/ ١٦١).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٧/ ٥٠٥-٥٠٦)، وانظر: (١٧/ ٥٣٤-٥٣٥)، و بدائع الفوائد لابن القيم (٢/ ٤٤٢).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، باب: الأمر بتغطية الإناء، وإيكاء السقاء، وإغلاق الأبواب (٣/ ٣٥٩٥)، برقم (٢٠١٣)، وأبو داود في سننه، باب كراهية السير في أول الليل (٣/ ٣٥) برقم (٢٦٠٤).

(٤) انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨/ ١٨٦).

(٥) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم (٢/ ٤٤٥-٤٤٦).

٢- شر السحر والسحرة:

قال تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾[الفلق: ٤]

والنفاثات: من النفث، وهو نَفْخٌ مع تحريك اللسان بدون إخراج ريق، فهو أقل من التفل، والمراد: النفوس الساحرات اللاتي ينفثن في عُقَدِ السحر.(١)

فيخرج من تلك الأنفس الخبيثة نَفَس ممازج للشر والأذى مقترن بالريق، يتساعد مع الروح الشيطانية على أذى المسحور فيقع فيه السحر بإذن الله الكوني القدري.(٢)

وقد روى الحسن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: **(مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً، ثُمَّ نَفَثَ فِيها، فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ)**.(٣)

واقتصر على الإناث في الاستعاذة، فأمر بالاستعاذة من النفاثات دون الذكور؛ لأنه قصد الأنفس والأرواح لا النساء، وتأثير السحر إنما هو من جهة الأنفس الخبيثة والأرواح الشريرة، وسلطانه إنما يظهر منها، فلهذا ذكر النفَّاثات هنا بصيغة التأنيث دون التذكير.(٤)

وفي الاستعاذة من شر النفَّاثات في العُقَد دلالة على تأثير السحر، وأن له حقيقة، وهذا ما تواترت به الآثار عن الصحابة والسلف، واتفق عليه الفقهاء وأهل التفسير والحديث، وأرباب القلوب من أهل التصوف وما يعرفه عامَّة العقلاء؛ فإن السحر الذي يؤثر مرضاً وثقلاً وحُبّاً وبغضاً وغير ذلك من الآثار موجود تعرفه عامة الناس، وبعضهم قد علمه ذوقاً؛ لأنه قد أصيب به.

---

(١) انظر: جامع البيان للطبري (٣٠/ ٧٤٩-٧٥١)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/ ٥٣٦).

(٢) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم (٢/ ٤٤٧).

(٣) أخرجه النسائي في سننه الصغرى (٧/ ١١٢)، برقم (٤٠٧٩)، وفي الكبرى (٢/ ٣٠٧)، برقم (٣٥٤٢)، والطبراني في الأوسط (٢/ ١٢٧)، برقم (١٤٦٩). وضَعَّفه الألباني ـ رحمه الله ـ في ضعيف الترغيب والترهيب (٢/ ٢٧٠)، برقم (١٧٨٨).

(٤) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم (٢/ ٤٤٧-٤٤٨).

وفي قوله تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ ﴾ دليل على أن النفث يضر المسحور في حال غيبته وعدم وجوده، ولو كان الضرر لا يَحْصُل إلا بمباشرة البدن ظاهراً لم يكن للنفاثات شر يستعاذ به.(١)

والمناسبة بين شر الليل وشر السحر حتى عُطف أحدهما على الآخر أن الليل هو الوقت المفضل للسحر، فهو الوقت الذي يتحين فيه السحرة إجراء شعوذتهم لئلا يطلع عليهم أحد.(٢)

٣- شر الحسد والحساد:

قال تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾[الفلق: ٥]

أي: إذا أظهر ما في نفسه من الحسد وعمل بمقتضاه بترتيب مقدمات الشر ومبادي الإضرار بالمحسود قولاً وفعلاً.(٣)

وأصل الحسد: بُغْضُ نعمة الله على المحسود وتمني زوالها.

فالحاسد عدو نعم الله على عباده، وهذا الشرُّ هو من نفس الحاسد وطبعها، ليس هو شيئاً اكتسبه من غيرها بل هو من خبثها وشَرِّها بخلاف السحر، فإنه إنما يكون باكتساب أمور أخرى، واستعانة بالأرواح الشيطانية.(٤)

والاستعاذة من شر حاسد إذا حسد تشمل أمرين:

أحدهما: شر نفس الحاسد وعينه، فإنه ربما أصاب بها فعان وضَرَّ، والمَعْيُون المصاب بالعين، وقال الشاعر:(٥)

---

(١) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم (٢/ ٤٤٧).

(٢) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٠/ ٦٢٨).

(٣) روح المعاني للآلوسي (٣٠/ ٢٨٤).

(٤) بدائع الفوائد لابن القيم (٢/ ٤٥٨).

(٥) البيت لعباس بن مرداس يخاطب كليب بن أبي عهمة السلمي، وهو في الحيوان للجاحظ (٢/ ١٤٢)، والحماسة البصرية (١/ ١٠).

قد كان قومُك يَحْسَبونك سيِّداً وإخال أنك سَيِّدٌ مَعْيُونُ

الثاني: أن يحمله فرط الحسد على إيقاع الشر بالمحسود، فإنه يتبع المساوىء ويطلب العثرات، وقد قيل: إن الحسد أول ذنب عصي الله به في السماء والأرض، فحَسَدَ إبليس آدم حتى أخرجه من الجنة، وأما في الأرض فحسد قابيل بن آدم لأخيه هابيل حتى قتله.(١)

وفي تعليق الشرِّ بالحسد فقط، والأمر بالاستعاذة من شر الحاسد عند وقوع الحسد دلالة على أن نفس الحسد شر يتصل بالمحسود من نفس الحاسد وعينه، وإن لم يؤذ الحاسد مباشرة بيده ولسانه، وإلا لم تصح الاستعاذة منه، وهذا يدل على أن المعنى يتضمن شر العين والحسد، وهو أشمل من قصره على ما يحصل نتيجة الإفراط في الحسد من تعدّ من الحاسد على المحسود، وإن كان يقيد الاستعاذة بحصول الحسد.(٢)

وفيه دلالة -أيضاً- على أن الحسد المذموم هو ما كان فيه عمل وفعل من العبد بإيقاع الحسد على المحسود، وتوجُّه نفس الحاسد نحو المحسود بالحسد، وذلك أن الحسد قد يكون في نفس الرجل، ولكنه يخفيه ولا يُرَتِّب عليه أذى لا بقلبه ولا بلسانه، بل هو كاره له، مبغض لما في نفسه، يجاهدها على دفعه، ولا يبادر المحسود بما يكرهه، بل يلزم نفسه بالدعاء له، وتمني زيادة الخير له. ومن هنا ندرك سر التقييد، ودقة التعبير القرآني.(٣)

وفي التعبير بالحاسد دون العائن دلالة على أن الحاسدَ أعمُّ؛ فإذا استعاذ من شر الحسد دخل فيه العائن، وذلك من شمول اللفظ القرآني وبلاغته وإعجازه. فإنَّ العائن يصيب المعين عند معاينته، أما الحاسد فإنه يحسد المحسود في غيبته وحضوره أيضاً.(٤)

---

(١) النكت والعيون للماوردي (٦/ ٣٧٧)، وانظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٥/ ٥٣٨).

(٢) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم (٢/ ٤٥٣-٤٥٤).

(٣) انظر: التفسير الكبير للرازي (٣٢/ ١٧٩). البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٥٣٤)، بدائع الفوائد لابن القيم (٢/ ٤٦١-٤٦٢)، أضواء البيان للشنقيطي (٩/ ١٦٢).

(٤) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم (٢/ ٢٥٦)، وأضواء البيان للشنقيطي (٩/ ١٦٢).

وهذا التأثير للحسد الذي أثبتته هذه الآية أمر معروف لا ينكره إلا جاهل، وهو أصل الإصابة بالعين.

وقد قال الله تعالى لنبيه: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾[القلم:٥١].(١)

وفي التعبير القرآني: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[الفلق: ٥] عموم يدل على أن الاستعاذة شاملة لكل حاسد سواء كان من الإنس أم من الجن، فإن الحسد يقع من الجنسين، فالشيطان وحزبه يحسدون المؤمنين، كما حسد إبليس أبانا آدم، وأصبح عدوّاً له بسبب الحسد، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾[فاطر: ٦].(٢)

وعطف الأمر بالاستعاذة من شر الحسد بعد الأمر بالاستعاذة من شر السحر يشير إلى تناسب بينهما. وهو من أوجه:

أحدها: أنهما الشرَّان اللذان يعودان إلى شر النفس الشريرة.

الثاني: أن كل واحد منهما يتضمن إعانة من الشياطين، فالساحر يستعين بالشيطان، والحاسد يعينه الشيطان وإن لم يستعن به؛ لأن كليهما عدوُّ نِعَمِ اللهِ على عباده.

الثالث: أنهما يتَسبَّبان في إيذاء العبد بلا عمل منه، بل من أمر خارج عنه، وهذا بخلاف الوسواس؛ لأنه إنما يؤذي العبد من داخله بواسطة مساكنته له وقبوله منه.(٣)

الرابع: التأثير الخفي لكل منهما، الذي يكون من الساحر بالسحر ومن الحاسد بالحسد مع الاشتراك في عموم الضرر، فكلاهما إيقاع ضرر في خفاء.(٤)

---

(١) انظر: زاد المعاد لابن القيم (٤/ ١٦٧)، وانظر: بدائع الفوائد لابن القيم (٢/ ٤٥٤-٤٥٥).
(٢) بدائع الفوائد لابن القيم (٢/ ٤٦٠).
(٣) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم (٢/ ٤٥٨-٤٦١).
(٤) انظر: أضواء البيان للشنقيطي (٩/ ١٦٢).

ولعل هذا هو السبب في اجتماع الحسد والسحر كثيراً في القرآن؛ كما اجتمعا في وصف اليهود.(١)

٤- شر العدو المتكبر:

وممن ورد تخصيصه بالاستعاذة منه في القرآن الكريم من الخلق العدو المتكبر الذي لايؤمن بيوم الحساب.

ورد ذلك في حكاية استعاذة موسى عليه السلام لَـمَّا علم بقول فرعون الذي ذكره الله بقوله: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾[غافر: ٢٦] فقال موسى ما أخبر الله به في قوله: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾[غافر: ٢٧] يقول موسى مخاطباً قومه: أيها الناس إني عُذْتُ بربي وربكم من كل عدو متصف بالتكبر على الله، والتعالي على خلق الله لا يرى لهم حقاً، ولا يراهم شيئاً، وهو متصف مع ذلك بالتكذيب بيوم الجزاء والحساب، فلا يردعه تواضعه وتقديره لخلق الله تعالى، ولا خوفه من الله تعالى فهو قاسٍ متجبِّر متغطرس متعالٍ على عباد الله، يسومهم سوء العذاب، فيقتل من يشاء بغير رادع من خلق ولا ضمير.(٢)

وافتتاح الآية بحرف التأكيد «إنَّ» يدلُّ على أن الطريق المؤكَّد المعتبرَ في دفع الشرور والآفات عن النفس هو الاعتماد على الله والتوكل عليه وحده لا شريك له.(٣)

والتعبير بوصف الربوبية مضاف إلى المخاطبين من قومه، في قوله: ﴿وَرَبِّكُم﴾ فيه بَعْثٌ لهم على أن يقتدوا به، فيعوذوا بالله عياذه، ويعتصموا بالتوكل عليه اعتصامه، وذلك أن الطَّلَبَ الجماعي أدعى للقبول، وأقوى تأثيراً في استجلاب الإجابة.(٤)

---

(١) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم (٢/ ٤٥٨-٤٥٩).

(٢) انظر: جامع البيان للطبري (٢٠/ ٣١٠).

(٣) التفسير الكبير للرازي (٢٧/ ٤٩)

(٤) الكشاف للزمخشري (٤/ ١٦٦)

وتخصيص اسم الرب المتضمن للحفظ والتربية؛ لأنهما المطلوبان في الإعاذة.(١)

وفي عدم ذكر فرعون باسمه فائدتان:

إحداها: ليكون الأسلوب على طريق التعريض، فيكون أبلغَ.

والثانية: أن تشمل الاستعاذة فرعون وغيره من الجبابرة والأعداء، وذلك دليل على أن الاستعاذة بالله في دفع كل من كان موصوفاً بتلك الصفة، فيدخل فيه كل من كان عدواً سواء كان مظهراً لتلك العداوة أو كان مخفياً لها، وذلك أولى من الدعاء على فرعون بعينه.(٢)

والسِّر في إضافة صفة عدم الإيمان بيوم الحساب أنه إذا اجتمع في الرجل التجبُّر والتكذيب بالجزاء وقلة المبالاة بالعاقبة، فقد استكمل أسباب القسوة والجراءة على الله وعباده، ولم يترك عظيمة إلَّا ارتكبها .(٣)

وفي الآية دلالةٌ على موقف المؤمن أمام التهديد ذلك الموقف المتمثل في الرجوع إلى الله، والاستعاذة به، والثقة في حمايته.

فقد قال موسى عليه السلام هذه العبارة، قالها، واطمأن، وسَلَّم أمره إلى المستعلي على كل متكبر، القاهر لكل متجبر، القادر على حماية العائذين به من المستكبرين، وأشار إلى وحدانية الله ربه وربهم لم ينسها أو يتركها أمام التهديد والوعيد. كما أشار إلى عدم الإيمان بيوم الحساب. فما يتكبر متكبر وهو يؤمن بيوم الحساب، وهو يتصور موقفه يومئذ حاسراً خاشعاً خاضعاً ذليلاً، مجرداً من كل قوة، ما له من حميم ولا شفيع يُطاع.(٤)

---

(١) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٧/ ٢٧٤).

(٢) الكشاف للزمخشري (٤/ ١٦٦)، التفسير الكبير للرازي (٢٧/ ٤٩)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٧/ ٢٧٤).

(٣) الكشاف للزمخشري (٤/ ١٦٦)

(٤) في ظلال القرآن لسيد قطب (٥/ ٣٠٧٨).

وهذه الاستعاذة من جميع صور أذى المتكبرين الذين لا يؤمنون بيوم الحساب، جاء تفسيرها في آية أخرى، وهي استعاذةُ موسى من الرجم في قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾[الدخان: ٢٠].(١) فإنه عليه السلام يستعيذ بالله تعالى -هنا- من أن يرجمه فرعون بأي معنى من معاني الرجم شتماً كان ذلك باللسان أو رجماً بالحجارة باليد. فالاستعاذة شاملة من كل أنواع الأذى فهي بمعنى الاستعاذة من كل متكبر جبار.(٢)

٥- فاحشة الزِّنى:

ومما جاء النص في الاستعاذة منه في القرآن الكريم من الشرور: الزنى. في آيتين:

الأولى: استعاذة يوسف من تلك الفاحشة عندما دعته امرأة العزيز إليها، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾[يوسف: ٢٣]

و«معاذ»: مصدر ميمي اسم للعَوْذ، وهو اللجَأ إلى مكان للتحصُّن، منصوب بفعل محذوف، أي: أعوذ بالله معاذاً.(٣)

والمعنى: أعتصم بالله، وألتجئ إليه، وأستجير به من هذه الفاحشة العظيمة وهذا الفعل القبيح؛ لأنه مما يسخط الله ويبعد منه؛ ولأنه خيانة في حق سيدي الذي أكرم مثواي.(٤)

وهذا اجتنابٌ منه على أتمِّ الوجوه، وإشارةٌ إلى التعليل بأنه منكَرٌ هائلٌ، يجب أن يُعاذ بالله تعالى للخلاص منه وما ذاك إلا لأنه عليه السلام قد شاهده بما أراه الله تعالى من البرهان النيِّر على ما هو عليه في حد ذاتِه من غاية القُبح ونهايةِ السوء.(٥)

---

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٦/ ٣٨٣).

(٢) انظر: جامع البيان للطبري (٢٥/ ٣٢-٣٣)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/ ٢٥٢).

(٣) انظر: البحر المحيط لأبي حيان (٥/ ٢٩٤)، التحرير والتنوير لابن عاشور (٧/ ٣٧)،

(٤) جامع البيان للطبري (١٣/ ٧٨-٧٩)، تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٣٩٦).

(٥) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ٢٦٥).

والثانية: استعاذة العذراء البتول مريم بنت عمران -عليها السلام- من جبريل عليه السلام عندما نزل إليها وخلا بها ولم تعرفه، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾[مريم: ١٨].

ومعنى قولها الذي نقله الله عنها: إني أستجير بالرحمن منك أيها الرجل أن تنال مني ما حَرَّمه الله عليك، إن كنت ذا تقوى من الله تتقي محارمه و تخاف عقابه، فتجتنب ما نهاك الله عنه، فإنَّ مَنْ كان ذا تقوى منعته تقواه من الخلوة بامرأة لا تَحِلُّ له، ومن فعل ما حرمه الله عليه معها.(١)

وقد استعاذَتْ منه؛ لأنها حَسِبَتْه بشراً اختبأ لها ليراودها عن نفسها، فبادرته بالتعوذ منه قبل أن يكلمها مبادرة بالإنكار على ما تَوَهَّمته من قصده الذي هو المتبادر من أمثاله في مثل تلك الحالة.

ومما يدل على أهمية تلك الاستعاذة عندها أنها أكدتها بحرف التأكيد «إنَّ» والجملة الخبرية، فكأنها أخبرته بأنها جعلت الله معاذاً لها منه، أي: جَعَلَتْ جانب الله ملجأ لها مما تظن أنه هم به. وهذا موعظة له، ومعلوم أن استعاذتها منه ليست لذاته، فإنه لم يكن في صورته ما يُكْرَه لأمثالها، وإنما كان من الفاحشة التي ظنته يريدها.(٢)

٦- سؤال ما ليس للسائل به علم:

وذلك في قوله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[هود: ٤٧].

يخبر الله تعالى هنا عن إنابة نبيه نوح عليه السلام بالتوبة إليه من زَلَّته عندما سأل ربه نجاة ابنه، وهي مسألة لا علم له بها، أي: أستجير بك أن أتكلف مسألتك ما ليس لي به علم، مما قد استأثرت بعلمه، وطويت علمه عن خلقك، ولا أعلم أن حصوله

(١) انظر: جامع البيان للطبري (١٥/ ٤٨٦-٤٨٧).

(٢) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٦/ ٨١)

مقتضى الحكمة، أو لا أعلم أنه صواب سواءً كان معلوم الفساد أو مشتبهَ الحال، وهذه توبة منه عليه السلام مما وقع منه.

وقد أظهر المستعاذ منه وهو «سؤال ما ليس له به علم» مع أن الأصل إضماره لذكره قريباً مبالغة في التوبة وإظهاراً للرغبة والنشاط فيها وتبركاً بها لقّنه ربه، إذ فيه الدلالة على كون ذلك الذي نُهي عنه أمراً هائلاً محذوراً لا محيصَ منه إلا بالعَوْذ بالله تعالى، وأنه عبد ضعيف قُدْرَتُه قاصرة عن النجاة من المكاره إلا بذلك.(١)

وقد بقي هذا السؤال حاضراً عند نوح عليه السلام، وبقي مستعظماً له تائباً منه، وقد صَحَّ أنه يعتذر به يوم القيامة عندما يطلبه الخلق للشفاعة لهم إلى رب العالمين.

فقد روى البخاري عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**يجتمع المؤمنون يوم القيامة، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا، فيأتون آدم، فيقولون: أنت أبو الناس خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلَّمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيقول: لست هَناكم، ويذكر ذنبه فيستحيي، ائتوا نوحاً فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، فيأتون فيقول: لست هناكم ويذكر سؤاله ربه ما ليس له به علم فيستحيي فيقول: ائتوا خليل الرحمن. ...**) الحديث(٢).

٧- الجهل:

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[البقرة: ٦٧] والجهل في اللغة ضد العلم. وبما أن العلم معرفة الشيء على ما هو عليه، فإن أصل الجهل خلو النفس عن ذلك العلم، أو اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه. وقد أطلق الجهل على التقدم في الأمور المجهولة بغير

(١) انظر: جامع البيان للطبري (١٢/ ٤٣٧)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ٢١٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٤٢٠٦)، ومسلم في الإيمان باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها برقم (١٩٣). ومعنى: «لست هناكم»، أي: لست أهلاً لهذه المرتبة وهذا العمل.

علم، وعلى فِعْل الشيء بخلاف ما حَقه أن يُفْعَلَ، سواءً اعتُقِد فيه اعتِقاداً صحيحاً، أم فاسِداً كتارِكِ الصَّلاةِ عَمداً.

ووجه ذلك الإطلاق أن الجهل بالشيء وعدم معرفته يقتضي أن يُفعل بغير علم، واعتقاده على خلاف ما هو عليه يقتضي أن يُفعل بخلاف ما حقه أن يُفعل، ومن هنا أطلق الجهل على الفعل، وإن كان المعروف من معناه: عدم المعرفة بالشيء، وأطلق على ما يضادُّ الحلم من الأفعال الغضبية التي لا تتلاءم مع العلم.(١)

والجهل في السياق يحتمل هذه الوجوه:

فيحتمل أن يكون المراد به الاستهزاء، فيكون موسى عليه السلام قد استعاذ بالله من الاستهزاء الذي ظنوه قد قصده، وهذا قول مقاتل. والاستهزاء فعل مذموم يفعله الجاهل لعدم علمه بأنه مُحَرَّمٌ مذموم، فيكون قد فَعَلَ الشيء على خلاف ما هو عليه.

ويحتمل أن يكون المراد به: رواية الكذب عن الله، فيكون موسى عليه السلام قد استعاذ من أن يكون قد كذب على ربه عز وجل، وروى عنه ما لم يَقُلْ. وهذا قول الطبري (ت: ٣١٠هـ)، فقد قال في تفسير الجاهلين: «يعني من السفهاء الذين يروون عن الله الكذب والباطل».(٢)

والكذب على الله تعالى من أعظم الذنوب والمحرمات، ولا شك أنه من مقتضيات الجهل، فإنه يستحيل على من كمل علمه كموسى عليه السلام أن يكذب على الله تعالى، ومن فعله، فإنما يفعله لجهله بالله تعالى وما يجب له.

ويحتمل أن يكون المراد بالجهل في الآية اتهام النبي بالكذب، يستفاد هذا من التعريض بهم في قوله: ﴿أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ فكأنه قال: أن أكون منكم. وفعلهم

(١) انظر: العين للخليل (٣/ ٣٩٠)، الجمهرة لابن دريد (١/ ٤٩٤)، تهذيب اللغة للأزهري (٢/ ٢٥٨)، لسان العرب لابن منظور (١١/ ١٢٩)، تاج العروس للزبيدي (٢٨/ ٢٥٥).

(٢) جامع البيان للطبري (١/ ٣٣٧)، وانظر: البحر المحيط لأبي حيان (١/ ٤١٥).

الذي أوجب الاستعاذة من أن يكون منهم أنهم جَوَّزوا على معصوم -ولا سيما في التبليغ عن الله- أنه كذب على الله، كما قال أبو حيان (ت: ٧٤٥هـ).[١]

وهذا -أيضاً- فِعْلٌ للشيء على خلاف ما هو عليه، وهو جهل عظيم.

ويحتمل أن يكون المراد بالجاهلين: الجاهلين بما في أمر الاستهزاء بالدين من العقاب الشديد والعذاب الأليم. ومأخذ هذا الاحتمال أن العلم بجزاء الاستهزاء في الدين يمنع إقدامه على الهزء والسخرية.[٢] وهذا من الجهل بمعنى عدم العلم بالشيء؟

فكل هذه المعاني من المعاني التي يشير إليها السياق بطريقة أو بأخرى، ويختلف السياق في الدلالة عليها قوة وضعفاً.

والسؤال: هل يمكن أن يكون المعنى المراد شاملاً لجميع صور الجهل المذكورة في هذه الأقوال جميعاً التي يدل عليها السياق ؟

والجواب: أنه لا مانع من ذلك، وهو الذي يدل عليه عموم اللفظ في قوله: ﴿مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾.

وعليه فإن الاستعاذة شاملة لجميع أنواع الجهل، ومنها:

١- عدم معرفة الحق.

٢- عدم العمل به، بمخالفته والوقوع في المعصية، فإنَّه من الجهل كما سبق؛ وذلك لأن الجهل هو الموقع فيه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): «فأصل ما يوقع الناس في السيئات الجهل وعدم العلم بكونها تضرهم ضرراً راجحاً، أو ظن أنها تنفعهم نفعاً راجحاً؛ ولهذا قال الصحابة رضي الله عنهم: كل من عصى الله فهو جاهل، وفَسَّروا بذلك

(١) انظر: البحر المحيط لأبي حيان (١/ ٤١٥).

(٢) انظر: اللباب لابن عادل (١/ ٣٦٧).

قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾[النساء: ١٧] كقوله ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[الأنعام: ٥٤].

قلت: و مما يبين ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا﴾[فاطر: ٢٨]. وكل من خشيه وأطاعه وترك معصيته فهو عالم، كما قال تعالى ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الزمر: ٩]...»[(١)].

قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ): «الجهل نوعان: عدم العلم بالحق النافع، وعدم العمل بموجبه ومقتضاه، فكلاهما جهل لغة وعرفاً وشرعاً وحقيقة. قال موسى: ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ لما قال له قومه: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾[البقرة: ٦٧] أى من المستهزئين.

وقال يوسف الصديق: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[يوسف: ٣٣] أي: من مرتكبي ما حرمت عليهم... وسَمَّى عدم مراعاة العلم جهلاً، إما لأنه لم ينتفع به فنزل منزلة الجاهل، وإما لجهله بسوء ما تجني عواقب فعله».[(٢)]

٨- الظلم:

قال تعالى حكاية عن يوسف الصديق: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ ۖ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ﴾[يوسف: ٧٩].

والمستعاذ منه هو المصدر المنسبك من ﴿أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾.[(٣)]

والظلم في قوله: ﴿لَّظَٰلِمُونَ﴾ على حقيقته، إذ هو وضع الشيء في غير موضعه.[(٤)]

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٤/ ٢٩٠-٢٩٣)، وانظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٧٧-٧٨).

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (١/ ٤٦٩-٤٧٠).

(٣) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٢٦٩)، التفسير الكبير للرازي (١٨/ ١٤٨)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ٢٩٩)، التحرير والتنوير لابن عاشور (١٣/ ٣٧).

(٤) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٢٦٩).

والمعنى: نلجأ إلى الله تعالى ونستجير به من أن نأخذ ما لا حق لنا في أخذه، وذلك بأخذ غير الذي وجدنا متاعنا عنده، فنكون قد أخذنا بريئاً بمذنب، فإن هذا ظلم، ونحن نستعيذ ونعتصم بالله من الظلم.[1]

قال ابن إسحاق: «يقول: إن أَخَذْنا غير الذي وجدنا متاعنا عنده إنَّا إذاً نفعل ما ليس لنا فِعْلُه، ونجور على الناس».[2]

* * *

(١) انظر: جامع البيان للطبري (١٣/ ٧٩)، التحرير والتنوير لابن عاشور (١٣/ ٣٧).

(٢) انظر: جامع البيان للطبري (١٣/ ٧٩)، تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٨٠).

الخاتمة

وأخيراً وبعد هذه الجولة في آيات كتاب الله تعالى من خلال هذا الموضوع: المستعاذ منه في ضوء القرآن. ظهرت بعض النتائج لهذه الدراسة، لعل أهمها ما يأتي:

١- شمول القرآن في تناوله للموضوعات رغم إيجازه، فإن الأمور المستعاذ منها فيه شملت كل الشرور، بالتركيز على أسس تلك الشرور وأمهاتها التي يندرج تحتها ما سواها.

٢- التناسب بين آيات القرآن الكريم، سواء بين آيات السورة الواحدة كما في سور الفلق والناس؛ إذ ظهر التناسب بين كل آية والتي تليها، أو كان بين جوانب الموضوع الواحد كما هو ظاهر بين أنواع المستعاذ منه، إذ تبين أنها تؤلف في مجموعها ما يشمل جميع الشرور.

٣- غزارة المعاني الثانية في القرآن، وهي المعاني التي لا تؤخذ من النص مباشرة، وإنما تستفاد من الأساليب البلاغية، كالعطف، والتعريف والتنكير، والحذف والذكر، ونحو ذلك. وقد ظهر ذلك جلياً من خلال الإشارة إلى مختلف المعاني التي تتضمنها تلك الأساليب، ومكانها في جوانب الموضوع.

ومن هنا يتبين الخطأ في إغفال هذه المعاني في التفسير الموضوعي، ويتبين أهمية العناية بها لإثراء التفسير الموضوعي، بدلاً من التركيز على التعبير الذي يفتقد إلى الربط بالنص من قريب أو بعيد.

٤- تَنَوُّع أساليب القرآن في تناوله للموضوعات، فهو لا يقتصر على لون واحد في تناول الموضوع، بل يجمع بين عدة أساليب؛ كما لاحظنا الجمع بين الإجمال والتفصيل في تناول أنواع المستعاذ منه، فمرة ترد في أساليب شاملة عامة، ومرة يرد الاستعاذة من أمور مخصوصة، والمفصل يفسر المجمل، ويمثل له بأهم أجزائه، فيركز الاهتمام على المخصوص بالذكر، ويشير إلى

مزيد خطورته، ومن ثَمَّ يفتح المجال للوحي الثاني السنة النبوية للإسهام في تفصيل ما أجمل وبيانه.

٥- خطورة الشرور المستعاذ منها في القرآن، وضرورة مجاهدة النفس للبعد عنها، درءاً لخطرها، وعملاً بكتاب الله تعالى، واستقامة على هداه.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

١- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي -بيروت.

٢- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، أشرف على طبعه: محمد زهير الشاويش، بيروت، المكتب الإسلامي، ط٢/ ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٣- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشيخ محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت - ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات.

٤- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، مطبعة السنة المحمدية - القاهرة - ١٣٦٩هـ، الطبعة الثانية، تحقيق: محمد حامد الفقي.

٥- إملاء ما مَنَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبدالله العكبري، دار النشر: المكتبة العلمية- لاهور - باكستان، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض.

٦- البحر الزخار، لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، مؤسسة علوم القرآن، مكتبة العلوم والحكم - بيروت، المدينة - ١٤٠٩هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله.

٧- بدائع الفوائد، للإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي أبو عبد الله بن قيم الجوزية، مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة - ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، الطبعة الأولى، تحقيق: هشام عبدالعزيز عطا -عادل عبدالحميد العدوي - أشرف أحمد... .

٨- تاج العروس من جواهر القاموس، للشيخ محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، دار الهداية، تحقيق: مجموعة من المحققين.

٩- تفسير البحر المحيط، للإمام محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية -لبنان، بيروت - ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، الطبعة الأولى، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق: د. زكريا عبد المجيد النوتي، د.أحمد النجولي الجمل.

١٠- تفسير التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، تونس، الدار التونسية للنشر، د. ط / ١٩٨٤م.

١١- تفسير القرآن العظيم. للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير القرشي الدمشقي (٧٠٠-٧٧٤هـ). تحقيق: سامي بن محمد السلامة، الرياض، دار طيبة، ط١/ ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

١٢- تفسير القرآن الكريم (جزء عم) لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، اعتنى به: فهد بن ناصر السليمان، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، الرياض، دار الثريا، ط١/ ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

١٣- تفسير القرآن، للشيخ عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، المكتبة العصرية - صيدا، تحقيق: أسعد محمد الطيب.

١٤- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، للشيخ فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، الطبعة الأولى.

١٥- تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، دار إحياء التراث العربي -بيروت- ٢٠٠١م، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد عوض مرعب.

١٦- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت: ١٣٧٦هـ). تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. قدم له: الشيخ: عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل، الشيخ: محمد بن صالح العثيمين، المملكة العربية السعودية، الرياض، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد. ط١: ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

١٧- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤-٣١٠هـ) تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي.المملكة العربية السعودية: دار عالم الكتب، ط١/ ١٤٢٤هـ.

١٨- الجامع الصحيح المختصر، للإمام محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار ابن كثير، اليمامة -بيروت- ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، الطبعة الثالثة، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.

١٩- الجامع الصحيح سنن الترمذي، للإمام محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي -بيروت-، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين.

٢٠- الجامع لأحكام القرآن، تأليف: أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب - القاهرة.

٢١- جمهرة اللغة، لابن دريد، دار العلم للملايين - بيروت - ١٩٨٧م، الطبعة الأولى، تحقيق: رمزي منير بعلبكي.

٢٢- الحماسة البصرية، لصدر الدين علي بن الحسن البصري، عالم الكتب -بيروت- ١٤٠٣هـ-

١٩٨٣م، تحقيق: مختار الدين أحمد.
٢٣- الحيوان، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، دار الجيل -لبنان، بيروت - ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، تحقيق: عبد السلام محمد هارون.
٢٤- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط. دمشق، دارالقلم.ط١/ ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
٢٥- درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبدالسلام بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم. دار الكنوز الأدبية.
٢٦- الرد على المنطقيين، لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، دار المعرفة – بيروت.
٢٧- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٢٨- زاد المسير في علم التفسير، لعبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي - بيروت -١٤٠٤هـ، الطبعة الثالثة.
٢٩- زاد المعاد في هدي خير العباد، للإمام أبي عبدالله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي بن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية - بيروت - الكويت – ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م، الطبعة الرابعة عشرة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط.
٣٠- سنن ابن ماجه، لمحمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، دار الفكر -بيروت-، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
٣١- سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، دار الفكر-، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.
٣٢- السنن الصغرى، للإمام أحمد بن الحسين بن علي البيهقي أبو بكر، مكتبة الدار -المدينة المنورة- ١٤١٠هـ-١٩٨٩م، الطبعة الأولى، تحقيق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي.
٣٣- السنن الكبرى، لأحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، دار الكتب العلمية -بيروت- ١٤١١هـ-١٩٩١م، الطبعة الأولى، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن.
٣٤- سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ-١٣٧٤م. تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي. بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١/ ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

٣٥- شرح السنة، للإمام الحسين بن مسعود البغوي، المكتب الإسلامي - دمشق -بيروت -١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، الطبعة الثانية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط -محمد زهير الشاويش.
٣٦- شعب الإيمان، للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية -بيروت -١٤١٠هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول.
٣٧- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري. تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ط٤/ ١٩٩٠م.
٣٨- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، مؤسسة الرسالة - بيروت – ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، الطبعة الثانية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.
٣٩- صحيح ابن خزيمة، للإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري، المكتب الإسلامي -بيروت- ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي.
٤٠- صحيح الترغيب والترهيب. للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الرياض، مكتبة المعارف، ط١/ ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
٤١- صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
٤٢- ضعيف الترغيب والترهيب، لمحمد ناصر الألباني، الرياض، مكتبة المعارف، ط١/ ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
٤٣- ضعيف الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، محمد ناصر الدين الألباني، أشرف على طبعه: زهير شاويش، بيروت، المكتب الإسلامي، ط٣/ ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
٤٤- علل الحديث، لعبدالرحمن بن محمد بن إدريس بن مهران الرازي أبو محمد، دار المعرفة - بيروت- ١٤٠٥هـ، تحقيق: محب الدين الخطيب.
٤٥- فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام أحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، تحقيق: محب الدين الخطيب.
٤٦- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر - بيروت.
٤٧- الفوائد لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، بن قيم الجوزية (٦٩١-٧٥١)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢ / ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م ، تحقيق: محمد حامد الفقي.
٤٨- في ظلال القرآن، لسيد قطب (ت: ١٣٨٥هـ). القاهرة، دار الشروق، ط/ ١٠، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
٤٩- القاموس المحيط، لمحمد بن يعقوب الفيروزابادي، مؤسسة الرسالة -بيروت.

٥٠- كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، لمحمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، دار الكتاب العربي - لبنان - ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، الطبعة الرابعة.
٥١- كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، دار النشر: دار ومكتبة الهلال، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي.
٥٢- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، لأحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني أبي العباس، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي.
٥٣- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.
٥٤- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر -بيروت، الطبعة الأولى.
٥٥- المجتبى من السنن، لأحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب - ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، الطبعة الثانية، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة.
٥٦- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي، دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، الطبعة الاولى، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد.
٥٧- المحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، دار الكتب العلمية - بيروت- ٢٠٠٠م، الطبعة الأولى، تحقيق: عبدالحميد هنداوي.
٥٨- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، للإمام أبي عبدالله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي بن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي -بيروت- ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م، الطبعة الثانية، تحقيق: محمد حامد الفقي.
٥٩- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي بن سلطان محمد القاري، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، الطبعة الأولى، تحقيق: جمال عيتاني.
٦٠- المستدرك على الصحيحين، لمحمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١هـ-١٩٩٠م، الطبعة الأولى، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.
٦١- مسند أبي يعلى، للإمام أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، دار المأمون للتراث - دمشق - ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، الطبعة الأولى، تحقيق: حسين سليم أسد.
٦٢- مسند الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ). تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١/ ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
٦٣- معالم التنزيل، للإمام الحسين بن مسعود البغوي، دار المعرفة - بيروت، تحقيق: خالد عبدالرحمن العك.

٦٤- معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج. شرح وتحقيق: الدكتور عبدالجليل عبده شلبي، بيروت، عالم الكتب، ط١/ ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
٦٥- المعجم الأوسط، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، دار الحرمين -القاهرة- ١٤١٥هـ، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني.
٦٦- المعجم الكبير، تأليف: أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، مكتبة الزهراء - الموصل -١٤٠٤هـ-١٩٨٣م، الطبعة الثانية، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي.
٦٧- معجم مقاييس اللغة، تأليف: أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، دار الجيل -بيروت - لبنان - ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، الطبعة الثانية، تحقيق: عبد السلام محمد هارون.
٦٨- معرفة السنن والآثار عن الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو أحمد البيهقي الخسروجردي، دار الكتب العلمية - لبنان، بيروت - الطبعة بدون، تحقيق: سيد كسروي حسن.
٦٩- المفردات في غريب القرآن، تأليف: أبي القاسم الحسين بن محمد الراغب، دار المعرفة - لبنان، تحقيق: محمد سيد كيلاني.
٧٠- منهاج السنة النبوية، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، مؤسسة قرطبة -١٤٠٦هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: د. محمد رشاد سالم.
٧١- موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، لعلي بن أبي بكر الهيثمي أبي الحسن، دار الكتب العلمية - بيروت، تحقيق: محمد عبد الرزاق حمزة.
٧٢- موطأ الإمام مالك، للإمام مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي، دار إحياء التراث العربي -مصر-، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
٧٣- النكت والعيون تفسير الماوردي. تصنيف: أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري. راجعه وعلق عليه: السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم، بيروت، دار الكتب العلمية، ومؤسسة الكتب الثقافية، د. ط / د. ت.
٧٤- النهاية في غريب الحديث والأثر، تأليف: أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، المكتبة العلمية - بيروت - ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي.

* * *

فهرس المحتويات

ملخص البحث ١
المقدمة ٧٣
أولاً: الموضوع وأهميته: ٧٤
ثانياً: أهداف البحث ٧٥
ثالثا: منهج البحث: ٧٦
رابعاً: خطة البحث ٧٦
تمهيد: الاستعاذة لغة وشرعاً وأنواع المستعاذ منه ٧٧
الاستعاذة لغة وشرعاً: ٧٧
أنواع المستعاذ منه ٧٨
المبحث الأول: المستعاذ منه المتعلق بشرور النفس ٨٠
المطلب الأول: الاستعاذة من شرور وسواس الجن والإنس عامة. ٨١
١- الوسوسة: ٨١
مفهومها وحقيقتها في السياق القرآني ٨١
بين الوسوسة والأحوال القلبية المشابهة ٨٢
المعنى الجامع للوسوسة ٨٣
وسوسة الجنة والناس ٨٤
وسوسة الجِنَّة ٨٦
وسوسة الناس: ٨٩
محل الوسوسة من الإنسان: ٨٩
٢- بقية شرور الوسواس الخناس ٩٢
المطلب الثاني: الاستعاذة من وسوسة الشيطان وجميع صور أذاه النفسي والبدني ٩٣
المطلب الثالث: الاستعاذة من وسوسة الشيطان في حالات معينة: ٩٨
الحالة الأولى: عند الشعور بها. ٩٨
والحالة الثانية: عند قراءة القرآن ١٠١
المبحث الثاني: المستعاذ منه المتعلق بشرور الخلق عامة ١٠٤
المطلب الأول: الأمر بالاستعاذة من شر الخلق عامة ١٠٤

المطلب الثاني: الاستعاذة من شرور مخصوصة. ١٠٧
١- شر الليل..... ١٠٧
٢- شر السحر والسحرة ١١١
٣- شر الحسد والحساد..... ١١٢
٤- شر العدو المتكبر. ١١٥
٥- فاحشة الزنا..... ١١٧
٦- سؤال ماليس للسائل به علم..... ١١٨
٧- الجهل. ١١٩
٨- الظلم..... ١٢٢
الخاتمة **١٢٤**
فهرس المصادر والمراجع **١٢٦**
فهرس المحتويات..... **١٣٢**